Tel : :91-522-2741235, 2741272
Fax :91-522-2741221, 2741231
(Vol. 52, Issue. 03)

R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/23
Regd. No. LW-NP/642006 To 2

Monthly
(Desember 2006)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

إصدارات جديدة:

النزعات الجديدة في النثر الأدبي العربي بعد الحرب العالمية الثانية

(مقالات الندوة القومية السنغدة
في ١٤-١٥/ مارس ٢٠٠٥م)

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، الهند

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Kakori Offset, Press, Lucknow, U.P.

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

المجلد:٥٣

العدد الرابع : المجلد الثالث والخمسون : ذوالحجة ١٤٢٨هـ - ديسمبر ويناير٨-٢٠٠٧م

★زيادة الكمية لا تغني عن نقص المعنوية :
★أوربا عاشت في سبات عميق والعلماء المسلمون دونوا العلوم والمعارف
★يوم القيامة ★وضع النهج ★بيت المقدس
★هل المجتمع يمرض ؟! ★اللعبة الماكرة !
★الحج صلة وثيقة للتعاون الإسلامي ★أين تودع الزكاة

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند الهاتف:٢٧٤١٢٣٥-٥٢٢-٠٩١

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Tel : 0091-522-2741235, 2741272 Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e- mail : theal-baas@nadwatululama.org

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

المجلد الثالث والخمسون

○ رئاسة التحرير ○
○ سعيد الأعظمي ○
○ واضح رشيد الندوي ○

العدد الرابع
ذو الحجة 1428هـ
ديسمبر ويناير 08-2007م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة و النشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٠٥٢٢.
الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢.

MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند
مائتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي
وفي جميع دول العالم :
٢٥/دولاراً بالبريد العادي
و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعّمها بالإيمان بفاطر الكون ومسيره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

أو ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

محتويات العدد

الإمام الندوي يقول : "حذار من هذا المصير" ! ٣

الافتتاحية

زيادة الكمية لا تغني عن نقص المعنوية : سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي

اللعبة الماكرة ! الدكتور عدنان علي رضا النحوي ٩

يوم القيامة الدكتور إبراهيم بن عبد الله المزروعي ١٨

الدعوة الإسلامية

هل المجتمع يمرض ؟ ! الدكتور محمد بن سعد الشويعر ٣٠

الحج صلة وثيقة للتضامن الإسلامي ..... . الأستاذ محمد صهيب السلفي ٣٥

الفقه الإسلامي

أين توزع الزكاة الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ٤٢

دروس من التضحية المباركة الخالدة ومعناها عند المسلمين الدكتور محمد أجمل القاسمي ٥١

من اعلام التاريخ الإسلامي

الحسائي : محدث في عصره الدكتور محمد فتحي راشد الحريري ٦٠

دراسات وأبحاث

وضح النهج الدكتور الأستاذ غريب جمعة ٧٠

من البدهيات في القرآن الكريم الأستاذ محمد عارف جميل المباركفوري ٨١

صور و اوضاع

أوربا عاثت في سبات والعلماء المسلمون دونوا العلوم والمعارف الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي ٨٨

بأقلام الشباب

مفاهيم تفسيرية للعلامة السيد سليمان الندوي الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي ٩٣

قرات لك

بيت المقدس الدكتور أحمد صدقي الدجاني ٩٧

ooo

الإمام الندوي يقول :

"حذار من هذا المصير" !

ومن واجب رجال التربية وولاة الأمر أن يحاربوا بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة والجلادة ويبعث على التخنث والعجز ، من عادات وأدب وصحافة وتعليم ، ويأخذوا على يد الصحافة الماجنة والأدب الخليع الملحد ، الذي ينشر في الشباب النفاق والدعارة والفسوق ، وعبادة اللذة والشهوات ، ولا يسمحوا لهؤلاء التجار الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الدين آمنوا ، بأن يدخلوا في معسكر محمد ﷺ الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، ويفسدوا على الناشئة الإسلامية قلبها وأخلاقها ، ويزينوا لها الفسوق والعصيان ، وحب الفحشاء ، بثمن بخس دراهم معدودة ، وقد شهد التاريخ بأن كل أمة أصيب رجالها في رجولتهم وغيرتهم ، ونساؤها في أنوثتهن وأمومتهن ، وطغى فيهن التبرج ومزاحمة الرجال في كل شيء ، والزهد في الحياة المنزلية ، وحبب إليهن العقم ، أفل نجمها وكسفت شمسها ، فأصبحت أثراً بعد عين .

هذه كانت عاقبة اليونان والرومان والفرس ، وإن أوربا لفي طريقها إلى هذه العاقبة ، فليحذر العالم العربي من هذا المصير الهائل .

(من كلمة ألقيت في مؤتمر "رابطة العالم الإسلامي" مكة المكرمة)

في صفر ١٤١١هـ

الافتتاحية:

زيادة الكمية لا تغني عن نقص المعنوية!

الإحصائيات العالمية تؤشر بوجه عام إلى عدد سكان العالم أكثر من ستة مليارات من البشر باختلاف الأقطار والبلدان والأصقاع وتكاثر الديانات والمذاهب الحضارية والعقائد والأفكار واللهجات واللغات، ويقال: إن المسلمين من بين هذا العدد الهائل والانفجار السكاني يشكلون نحو ربع سكان المعمورة في قليل أو كثير، ومهما يكن الواقع فإن المنتمين إلى الدين الإسلامي لهم غالبية كبرى بإزاء المعتنقين بالديانات والفلسفات والحريات والأفكار المنوعة، إذ أن هناك أقليات، منها ما هي صغيرة، وما تشكل نسباً عالية، إلا أنها لا تكاد تبلغ مبلغ عدد المسلمين، أما اليهود فهم أقلية تسفر عن ما يقارب خمسة عشر مليوناً في العالم كله، ولكنها أمة تسود وتحكم وتسيطر على جميع أنواع الاقتصاد والسياسة ومنابع الثروات وتستولي على أجهزة الإعلام العالمي، وتمتلك زمام السياسة العالمية لا في الغرب وحده بل على المستوى العالمي، وتملي إرادتها على الفئة التي تتزعم السياسة العالمية.

فإذا قارنا الأمة العظيمة بالأقليات البشرية الأخرى، وجدنا فرقاً هائلاً بين تطلع المسلمين إلى المعالي، لإثبات وجودهم الإسلامي، والطموح الكبير نحو الحياة المادية الذي تتمتع به الأقليات، ذاك أن الواقع العملي أقوى فعالية وأكثر تسلحاً بوسائل ذات تأثير عميق لدى الآخرين، وإن كانت وجهة عملهم منحرفة نحو الباطل والإثم والأهواء والشهوات، وكل عمل ونشاط يقومون بهما، يكونان نتيجة للحماسة التي تتأجج نارها في صدورهم فتدفعهم إلى المغامرات تحقيقاً لغاياتهم التي اصطنعوها من خلال أفكارهم الفجة، وهي لا تستند إلى قواعد علمية طبيعية، ولكن الأمة الإسلامية اعتمدت على أصول

الإسلام وتعاليمه النابعة من الفطرة ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا * لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ * ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ * وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ﴾، فكان النجاح حليفها يوم قامت بأداء رسالتها وإنقاذ المجتمعات البشرية التي كانت تتجرع مرارة الحياة أنواعاً وألواناً، وتتسكع في ضلالات وانحرافات سدت على أهلها منافذ الإيمان، والهداية إلى الطريق الطبيعي للحياة، فكان ذلك عهد السعادة والهناء والتناصح، يقوده رجال نذورا حياتهم لخدمة الإسلام وتعزيز مبادئ الحق والعدل، والأخوة والإيمان، لا في بيئات خاصة ومجموعات بشرية بعينها بل في العالم البشري كله من غير استثناء وعصبية عرقية أو حزبية مذهبية، ذلك هو العهد الزاهر السعيد الذي يعتز به ويتجمل به تاريخ الإنسان من غير مدافع.

وهل يجهل أحد تاريخ الفتح الإسلامي المشرق، فقصة فتح الفارس والمدائن بالذات سوف لا ينساه التاريخ الإنساني في أي فترة من عمره الطويل، وهي قصة مثيرة ذات عبرو دروس، فلو لا قوة الإيمان الراسخ في شغاف قلوب ولو لا طاقة العقيدة المتغلغلة في الوجود البشري لما فتحهما العرب المسلمون، أولو المظاهر المتواضعة، وكالعزل من جميع الاعدادات العسكرية، بازاء قوم عريقين في ممارسة الحروب ومقاومة العدو، وبالغين إلى قمة البذخ والترف، واليسار والغنى إزاء أولئك المؤمنين الذين كانوا في غاية من التواضع والقلة، ملابسهم صفيقة، ومظاهرهم ضعيفة، وأسلحتهم قليلة، لا تعدو السيوف والرماح والأتراس، ولكن قلوبهم تتدفق بالإيمان، وأرواحهم تشف عن قوة الثقة والحنان، وعزائهم تتجلى في مخايل وجوههم وإشراقات جبينهم وعيونهم، وقد رأى الفرس هذا الواقع الذي أدهش عقولهم، وأدخل الجبن والخوف في نفوسهم، فما كان منهم إلا أن يسمحوا الجيش الإسلامي بدخول بلدانهم ويعلنوا عن انهزامهم وتسليم مفاتيح الحكم إلى قادة الجيش الإسلامي، ورغم أن البلد المفتوح كان يفيض بالخيرات والثروات، وبالأموال والذخائر، ولكن المسلمين لم يتصرفوا في أي شيء ولم يسرفوا في أي خير، فهذا تاج كسرى، وما أدراك ما تاج كسرى؟ اغتنمه جندي في سرية تامة

دون أن يراه أحد ، ولكنه أبعد ما كان أن يقع فريسة للنفس أو الشيطان المتربص بالدوائر ، وسرعان ما حمله في قطعة من ثوبه إلى بيت مال المسلمين وغنائمهم ، مقنعاً لكيلا يعرفه أحد ، فلما سلمه إلى صاحب الأقباض دهش بهذه الأمانة الدقيقة الرائعة ، وسأله عن اسمه فقال : إن من أديت له هذه الأمانة هو يعرف اسمي ، ورجع أدراجه من توّه ، فتبعه رجل من أصحاب بيت المال ، فلما انتهى إلى خيمة دخلها وسأل أهلها عن اسمه فعلم أن اسمه عامر بن عبد قيس ، ولنقرأ القصة فيما رواه الطبري فقال :"كتب السري عن شعيب عن سيف ، عن هبيرة بن الأشعث عن أبي عبيدة العنبري ، قال : لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض ، أقبل رجل بحق معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذين معه : ما أرينا مثل هذا قط ، ما يعدله عندنا ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئاً ، فقال : أما والله لو لا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأناً ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليقرظوني ، ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس" (تاريخ الطبري ج/٢ ص/٤٦٥) .

هذا مثال واحد لأداء الأمانة التي هي الركيزة الأساسية في حياة المسلم الصادق ، وهي تعم جميع الشؤون والأحوال في سائر الظروف ، ولعل الله سبحانه وتعالى أشار في كتابه العزيز إلى جميع أنواع الأمانة حينما قال : ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ * إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾ (الأحزاب الآيةم٧٢) .

ولنأخذ الآن مثال الأمانة المالية التي فشل فيها كثير من أبناء الدين الحنيف ، وانزلقت أقدامهم في هذا المجال بوجهٍ خاص ، وكذلك في كثير من الأحكام والأعمال التي لا تكتمل الحياة الإسلاميّة بدونها ، ذلك لكي نُشاهد التهاون وعدم المبالاة بانجازها بروح إيمانية وبدوافع الشكر لله تعالى الذي أكرمهم بنعمة الإسلام ، وقد لا يترددون في ارتكاب المعاصي والتزكية على كسب المال بأي طريقة ، وفي الخيانة في الشراكة التجارية التي يمارسها فريقان من المسلمين المتدينين إلا أن

الفريق الأول يخدع الفريق الثاني في غاية الأمر أو بالعكس ، الأمر الذي يسفر عن تراجع الخاسر وسيطرة الشاطر ، وهكذا يطرد الأمر إلى الإفراط والتفريط والرابح والخاسر في سائر المعاملات الأخرى التي تعتبر محك الأمانة ، وتمثل صورة العدل والظلم بكامل معناهما ، ومن هنالك يتمهد الطريق نحو الفساد وهدم القيم والسلوكيات ، ويتسع النطاق فيؤدي إلى آخر ما يستطيع أن يصل إليه المرء من مخاصمات ومعاداة تضيق الخناق على كل واحد ، فكل يستهدف الآخر بالتهم وإساءة سمعته ، ذاك واقع معاش لا يفوتنا الاطلاع عليه من خلال الجرائد ووسائل الاعلام ، بصورة عامة .

لعل مجتمعنا اليوم أصابته العين ، فهو يحتاج إلى العلاج وتوفير أسباب الشفاء والصحة ، وهي نقطة مهمة تتطلب اهتماماً كبيراً واعتناءً بالغاً من أرباب العلم والدعوة الإسلامية الذين تتحلى حياتهم بأفضل عمل اختارهم الله سبحانه له ، وقلدهم مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقب الأمة من أجله بخير أمة أخرجت للناس ، ومن ثم كانت هذه المسئولية ستاراً عن كل عقاب أو سخط من الله العزيز الحكيم ، فقد روي عن رسول ﷺ أنه قال : **"والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"** .

وبالرغم من استمرارية الدعوة إلى الله واتساع نطاقه في عصرنا يبدو أن مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تزال تترقب الجماعة التي تتبنّاها كغاية أسمى للأمة الإسلامية ، في كل حال ، سواء في الشدة الرخاء أو في الضراء والسراء ، ولكن مع قلة الاهتمام بأداء هذه المسئولية والانصراف عن التركيز عليها واجهت الأمة ألواناً شتى من العقاب ، أفليس أكبر مأساة للأمة أن تفقد قيمتها القيادية وترضى بالتبعية لأمم وشعوب مريضة وتعتمد على الغرب المادي في تسيير دفة الحياة بشيء من الإعجاب وقدر قليل من الإتباع في كثير من الشئون الثقافية والحضارية ، وذلك ما أنتج اليوم من وهن وخوف يسيطران على مجتمعات المسلمين باختلاف الظروف والأوضاع ، وإن استعراضاً قليلاً لحياتهم ومجتمعاتهم ليصدق ما يعيشونه من نفسية

غريبة لا تستند إلى قوة الإيمان وصلابة العقيدة والثقة الكاملة بوعد الله تعالى وجزائه الأوفى لعباده المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

فمتى سنوفق للعودة إلى الإيمان واسترداد أمجادنا ومفاخرنا التي سجلها "التاريخ" بحروف من ذهب، أنني لا أرى ما يواجهنا من شقاء وتعاسة من قبل الجهات المناوئة في الغرب أو الشرق إلا سبباً واحداً، وهو أننا قد تركنا تمثيل الإسلام بجميع أحكامه وتعاليمه وأخلاقه وقيمه، وضعفت صلتنا عن منابع القوة والعز والعقيدة الراسخة ودخل فينا الوهن الذي أشار إليه رسولنا العظيم محمد ﷺ في حديثه الذي رواه أبو داؤد عن ثوبان رضي الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت" (كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام رقم الحديث ٤٢٩٧).

أين نحن المسلمين من أولئك الأعلام الذين لم تسحرهم الدنيا بزخارفها ومفاتنها في أي حال بل رجعت عنهم راغمة ذليلة بأموالها وثرواتها وغنائها فعاشوا في عزة وسعادة وهناء، فهذا داؤد بن نصر الطائي يتحدث عنه ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان يقول: "قدم هارون الرشيد الكوفة، فكتب قوماً من القراء، وأمر لكل واحد منهم بألفي درهم، وكتب داؤد الطائي من جملتهم، فدعاه باسمه، فقيل له إن داؤد لم يعلم، فقال: أرسلوها إليه، فقال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة نحن نذهب بها إليه، وقال ابن السماك لحماد في الطريق: انثرها بين يديه، فإن للعين حظها، رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها! فلما دخلا عليه نثراها بين يديه، فقال لهما: إنما يفعل هذا بالصبيان" (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان).

سعيد الأعظمي

١٤٢٨/١١/٢٠هـ

اللعبة الماكرة!

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي
(www.alnahwi.com)
(info@alnahwi.com)

باستعراض تاريخ منطقة العالم الإسلامي، خلال القرنين الأخيرين، ومتابعة بروز زعامات هنا وزعامات هناك، وتكتلات هنا وتكتلات هناك، زعامات تظهر وأخرى تختفي في جو يكون فيه المجرمون المعتدون هم المسيطرين في الديار سيطرة احتلال عسكري طاغ أو سيطرة انتداب ماكر، أو سيطرة نفوذ وتسلل.

ولا تقف سيطرة هؤلاء المجرمين عند مجرد الاحتلال ولكنها تمتد إلى الإدارة والاقتصاد والإعلام والاجتماع والتربية وسائر نواحي الحياة، حتى تسطير عليها أو تمد فيها شباكها الناعمة اللينة، أو حبالها المتينة الغليظة، أو سلاحها الفتاك.

وعند ما تكون الأمة المحتلة واهية ضعيفة، فاقدة القدرة على مجابهة ما يحوكه لها المجرمون، فإنها تستسلم حيناً، وإذا هبت أو ثارت فقد يكون ذلك تحت عين المجرمين الذين يوجهون بأسلوب مباشر أو يسيطرون على نفوس تطلب الدنيا وتتبع هواها تحت شعارات مختلفة!

في كثير من هذه الحالات، وليس في جميعها، تكون الأمة الواهية، قد بدأ التفكك فيها وبدأ التفرق، وأخذت تظهر فيهم العصبيات العائلية أو القبلية أو الشخصية، ومختلف الأهواء

المتصارعة والمصالح الدنيوية المتصارعة ، وتنافس الدنيا ، وذلك كله ينفث في عروقهم الخدر ويدير الصراع ويقطع الأرحام !

في هذا الجو ، وقد فقدت الأمة سلاحها الأول وحصنها الحصين ، وهو صفاء الإيمان والتوحيد ، وصدق العلم بمنهاج الله ، والسعي إلى الدار والآخرة ، تطلب الجنة والدار الآخرة ، لا شعاراً تتغنى به ، ولكن حقيقة تمثل جوهر حياتها ، في هذا الجو تكون الأمة قد فتحت أبوابها كلها للمجرمين ، ليدخلوا إلى مختلف ساحاتها وميادينها ويحكمون السيطرة عليها بأساليب متعددة ، تتفتق عنها عقول شياطين الإنس والجن .

إن أول هدف يسعى إليه المجرمون المعتدون هو تمزيق الأمة شيعاً وأحزاباً ، ومصالح وأهواء ، ثم يديرون الصراع بين هذه الفئات صراعاً لا يقف بل يتجدد ، والناس غافلون عما يكاد لهم ، يندفعون في الصراع تقودهم العواطف الهائجة والمصالح الرائجة ، والعصبيات المغروسة في النفوس والأيادي الخفية الممتلة من هنا وهناك .

تصبح الأمة في هذه الحالة مفككة العرى ، يسهل على هؤلاء المجرمين التحكم في جميع الاتجاهات والعصبيات والمصالح والنوازع ، ويوجهونها بأيديهم الخفية على النحو الذي يريدونه والذي يضمن استمرار الصراع وبقاءه وامتداده ، وإذا مال إلى الهدوء لحظة فما أسرع تلك القوى الخفية أن تؤجج لهيب الصراع ثانية ، وهي ممسكة بجميع الخيوط تدير بها التحركات دون أن يشعر أحد بذلك ، وإذا حدث وشعر أحدهم بدور هذه القوى فإنك تراه راضياً بذلك حريصاً على بقائه ، إنها مصلحته الشخصية التي هو حريص عليها أو مصلحته

العائلية أو مصلحته الحزبية ، أو أي لون من ألوان العصبيات الجاهلية المتأججة في النفوس .

وفي هذه الأجواء تبرز قيادات تحرك الجماهير وتدفع في هذا الاتجاه أو ذاك ، وقد يظن هؤلاء أنهم الأبطال الحقيقيون الذين يحركون الجماهير ، وإذا بقيادة أخرى تظهر تنافس الأولى على الزعامة والقيادة ، ويثور الصراع بينهما ، وقد تظهر قيادة ثالثة ورابعة وهكذا .

ولو نظر هؤلاء كلهم إلى ما يتصارعون عليه لوجدوه شيئاً تافهاً لا يستحق أن يدور عليه صراع ولا تنافس .

وإذا أرادت هذه القوي المجرمة المتحكمة في الساحة والميدان أن تظهر رجلاً ليكون بطلاً جماهيرياً ، فلذلك أساليب متعددة ، أهمها أن يبدأ الإعلام يشن عليه حملة غاضبة من المجرمين ، يكون صداها لدى الشارع في صالح ذلك الرجل وفي سبيل إبرازه ، وقد يسجن فترة من الزمن ، ثم يخرج من السجن لتتلقاه الهتافات والاحتفالات ، ثم يكون زعيماً وقد يسمح له أن يقوم ببعض أعمال الوطنية التي تشد الجماهير إليه على أن يكون هذا كله بحساب وتقدير .

وإذا أرادت هذه القوى المجرمة المعتدية أن تفضي على رجل بارز أو حركة فيمكن أن تعلن تلك القوى المجرمة تأييدها له أو مساعدتها له ، ويتحرك الإعلام بقدر محسوب بدقة ، ليكون صدي ذلك أن يصبح هذا الرجل خائناً وعميلاً ، وليخسر جماهيره ، وتستغل هذه القوى الأخطاء من هنا أو هناك لتتابع خطتها في إبراز ما تشاء وتحطيم من تشاء وفي استمرار الصراع .

والأمر الغريب أنك ترى وسائل الإعلام المختلفة تنطلق

بهذا الاتجاه، أو ذاك، في وقت واحد وبأساليب متعددة تغدي الاتجاه المطلوب وتؤجج الصراع.

وتستطيع هذه القوى المجرمة أن تقضي على هذا وترفع ذاك، أو تثير المعركة بينهما، أو تغدر بهذا حيناً غدراً مكشوفاً، أو تغدر بذاك غدراً مكشوفاً، وتخل بكل عمودها ومواثيقها وتترك فريستها ملقاة جثة هامدة.

تتصرف هذه القوى المجرمة بسهولة ويسر لأن الخيوط كلها بيدها، تستطيع أن تتحكم بها.

إلا أن ذلك كله يتم على قدر من الله نافذ وقضاء غالب، وحكمة بالغة، ويحسب المجرمون أنهم هم العباقرة الذين يديرون الأحداث، ذلك لأنهم لا يعلمون أن الله سنناً ربانية ثابتة ماضية، تحكم كل صغيرة وكبيرة في هذه الحياة الدنيا وفي الكون كله، وقضاء الله حق عادل لا يظلم أحداً.

وتجرى الأمور على سنن ربانية ثابتة ابتلاء منه سبحانه وتعالى لعباده وتمحيصاً لهم، حتى تكون الحجة يوم القيامة لهم أو عليهم، ولا تتأثر هذه السنن الربانية بقدرة الناس أو عدم قدرتهم على إدراك الحكمة الربانية البالغة، فمنها ما بينه الله لنا ومنها لم يبينه.

ولا ينجو من خيوط هذه القوى المجرمة وحبالها إلا من أخلص نيته لله وخطا على نور من منهاج الله، يرد كل صغيرة وكبيرة إليه، ومن اعتصم بالله صادقاً أميناً يطلب الدار الآخرة ويؤثرها على الدنيا، ومن جاهد نفسه على طاعة الله عن إيمان ويقين، وعلمٍ صادقٍ بمنهاج الله، ووعيٍ للواقع، لا يطلب الدنيا بشعار الإسلام، ولا يخدع ولا

يكذب ولا يخون، ولا يبدل المواقف حسب مصالح الدنيا، ولا يتاجر بدين وعقيدة، ولا بوطن و دار.

هذه هي الطائفة الظاهرة التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ في حديثه الشريف فعن ثوبان رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: **"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"** (رواه مسلم والترمذي وابن ماجه) (١).

ويأتي هذا الحديث الشريف على عشر روايات، كل رواية تضيف صفة من صفات هذه الطائفة الظاهرة، **ورأس الصفات كلها أنها تطلب الآخرة حقاً!**

وهذه الطائفة الظاهرة ليست ظاهرة بالإعلام وضجيج الشعارات، فلن تسمح تلك القوى المجرمة لها بفسحة من الإعلام، أو بقوة مادية تسندها، أو بسلاح تفيض به عليها، أو بمال وفير يصب بين يديها.

وقد تختلط الأمور على الناس أحياناً، فلا يرون الحق ظاهراً، وقد يخدعهم الباطل بزخرفه، خاصة وأن الناس بعامة لا ترد الأمور إلى منهاج الله، ولا يكون بين يديها ميزان المؤمن، والزخرف والزينة ومظاهر القوة والحشود، كل ذلك قد يغري ويفتن.

لقد رأينا نماذج من جميع هذه الحالات في تاريخ ديار المسلمين، ففي فلسطين مثلاً كم شغل الانتداب العائلات كلها بالصراع على انتخابات "رئاسة البلدية" في كل مدينة، ووضح أن الانتداب قادر

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم: (٨٢٨٩).

على أن يتحكم بنتائج الانتخابات ، وراغب بشراء أكبر عدد من الناس ، حتى إذا تبين له إصرار فريق على معاداته خذله بطريقة من طرقه المتعددة ، ثم يدور الصراع بين الناس ويمتد ، فإذا الانتداب قد حقق أهدافه ، وأقام دولة إسرائيل ، وشرد أهل فلسطين من ديارهم ! ونماذج أخرى كثيرة في تاريخنا !

وانظر إلى ما يجري اليوم في أفغانستان والعراق والصومال وسائر ديار المسلمين ، آيات لله بينات لمن أراد أن يتذكر ويبصر ، واقرأ ما كتبه "بوب ودورد" في كتابه : "Bush at War" لترى كيف تشترى النفوس بالدولارات وغيرها ، حتى صار هذا شيئاً يعلن عنه بعد أن كان قبل سراً .

هذه هي اللعبة الماكرة التي يلعبها أعداء الله في العالم الإسلامي ، يلعبها المجرمون الظالمون ، وقد أمسكوا بكثير من الخيوط ، انظر وتفكر فيما ترى ! حشود هنا وحشود هناك ، تدخل ميادين السياسة أو ميادين القتال ، أو غيرها من الميادين ، وكل يحتاج إلى المال الوفير لينفق على حشوده ونشاطه ، وكل يحتاج إلى السلاح وسائر أنواع العتاد ، وذلك كله مصادره المحددة المعروفة ، التي تفيض على من يواليها ، وتغلق عليه بذلك كله وبالإعلام .

يستحيل على الفرد العادي أن يوفر ذلك كله إذا أراد أن ينطلق مستقلاً عن هذه المصادر ، إلا في حالة واحدة فقط . تلك الحالة عندما يتوكل على الله حقَّ توكله ، ألا يشرك به شيئاً ، ولا يطلب شيئاً من زينة الدنيا وزخرفها ومناصبها ، ويمضي على نور من منهاج الله إيماناً وعلماً وعملاً ، وهو يعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى قد خلقه ليوفي

بمهمة عظيمة في الحياة الدنيا هي مدار العبادة والأمانة والخلافة والعمارة ، وهي مدار الحساب يوم القيامة عندما يُرْجَعُ الخلق كلهم إلى الله ربهم وخالقهم :

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (المؤمنون : ١١٥)

هذه المهمة هي التي نسيها كثير من المسلمين ، فَشُغِلوا بألف قضية دونها وقضية ، حتى طوتهم الحياة الدنيا وهم يصارعون هنا ، ثمَّ هناك ، كأنهم في تيه يجذبهم البرق الخُلَّب الذي سرعان ما يختفي ، حتى يدركهم الموت و لات ساعة توبة أو مندم !

هذه المهمة هي تبليغ رسالة الله ودينه إلى الناس كافة كما أُنزلت على محمد ﷺ وتعهدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا..

تحولت جهود كثير من المسلمين إلى أحلام الوطنية والديمقراطية والعلمانية والعولمة تحت شعار الإسلام ، ودُفِعوا إلى ذلك أو استدرجوا أو استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، ثم دوَّت الشعارات وغلب ضجيجها على عقل وروية ونهج . ثم يدور الصراع هنا وهناك ليشغلوا بمزيد من الأمور ، كلما أوشك أمر أن ينتهي أُخْرج لهم أمر جديد ليمتدَّ الصراع ، وتغيب الأهداف شيئاً فشيئاً ، أو توضع أهداف آنية كاذبة ليشغل بها المسلمون .

لا بدَّ أن نوضح أن هذه المهمة التي خلقنا الله للوفاء بها كما ذكرناها ، لا تعني مجرد الدعوة والتبليغ ثم الاسترخاء والاستكانة . إنَّ هذه الدعوة التي يجب أن تمضي على صراط مستقيم تشمل كافة ميادين الحياة من سياسة واقتصاد واجتماع وغير ذلك ، ليكون كل

ميدان من هذه الميادين باباً إلى الدعوة والبلاغ والبيان ، ولتكون الميادين كلها مترابطة متماسكة حتى لا يشغل عنها المؤمن بزخرف أو زينة يبتلى بها في طريقه .

يريد الله سبحانه وتعالى أن يتفرغ المؤمنون الصادقون إلى هذه المهمة بصورتها الشاملة التطبيقية ، لا يشغلهم عنها شيء ولا طلب الرزق .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال :

(لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) (رواه أحمد والترمذي وابن ملجة والحاكم) (٢) .

ولا يعني التوكل الكسل والاسترخاء وعدم السعي ، ولكنه يعني أن يكون رجاؤه كاملاً بالله سبحانه وتعالى وحده ماضياً في سعيه وتبليغه وبيانه ، وطلب رزقه دون أن يعطله طلب الرزق عن المهمة التي خلقه الله للوفاء بها .

إنَّ الذي يحدث في واقع الناس أنهم لا يتوكلون على الله حق التوكل بسبب الخشية من الفقر ، وبسبب الطمع المتنامي في طلب المال ، وبسبب الفتنة بزخرف الحياة الدنيا وزينتها .

وكذلك الحديث الشريف الذي يرويه عبد الله بن محصن رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(من أصبح منكم آمناً في سِربه ، معافى في جسمه ، عنده قوت يومه ، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها) (رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ملجة) (٣) .

---

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم : (٥٢٥٤) . (٣) المرجع السابق رقم (٦٠٤٢)

ولكن المشكلة في واقع الناس أنهم لا يقنعون برزق يومهم ، ولا يطمئنون إلى رزق الله سبحانه وتعالى أنه آتيهم لا محالة على قدر ما كتبه الله لهم .

ولو أيقن المؤمنون بأنَّ الله خلقهم للوفاء بالمهمة التي ذكرناها فنهضوا إليها وصدقوا الله بالوفاء بها ، ولو أنهم آمنوا بأنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، ولو أنهم توكلوا على الله حق توكله من أجل أن يوفوا بالمهمة التي يريدها الله سبحانه وتعالى ، لو تم ذلك لكان المؤمنون أعزَّ الناس في الأرض ، ولسادوا ومكّن الله لهم ، وكسبوا الدنيا والآخرة .

بعد هذه الأحداث المتكررّة في تاريخ طويل ، ألا يتّعظ المسلمون بها ويفيقون ولا يظلُّون ضحية هذه اللعبة الماكرة التي ما زالت تتكررَّ وما زلنا نخسر الكثير بسببها ؟!

ألا نرى كيف أن العدو يستطيع أن يستفيد من جهود أعوانه ومن جهود خصومه ، لتصبَّ كلها في مصلحته هو ؟! ولِمَ ذلك ؟! لأنَّ العدو له خطته والذين أمامه لا خطة لهم يدفعهم الارتجال والعاطفة .

ألا نرى كيف أن معظم قضايانا خسرنا فيها كثيراً جداً بالرغم من كثرة الضحايا وكثرة الإنفاق والبذل ؟! ألا ترى أنَّ إسرائيل كان لها من فلسطين بحدود ٥٦٪ ، وبعد هذه السنين الطويلة والانتفاضات والشعارات المدوية أصبح لها أكثر من ٩٠٪ من أرض فلسطين . إلى أين نتجه مع شدة اختلافاتنا وصراعنا فيما بيننا ، ومع كثرة التمسك بالغرب ومبادئه من ديمقراطية وعلمانية وعولمة

البحث الإسلامي

التوجيه الإسلامي :

يوم القيامة

بقلم : الأستاذ إبراهيم بن عبد الله المزروعي
(أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد :

مقدمة : يوم القيامة ، يوم يبيد الله عز وجل فيه الحياة والأحياء إلا من يشاء الله قال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ القصص (٨٨) .

يوم يحل فيه الدمار بهذا العالم ثم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم القيامة يوم عظيم ويوم عسير على الكافرين غير يسير ، يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار ، يوم يجعل الولدان شيباً ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل أمري منهم يومئذ شأن يغنيه .

يوم القيامة ، يوم لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود عن والده شيئاً ، يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن ، يوم القيامة يوم غفل عنه الناس ولم يستعدوا له .

نتكلم عن يوم القيامة لإزالة هذه الغفلة عنا ، قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم/٣٩) .

** نتكلم عن يوم القيامة حتى لا نعض أصابع الندم يوم لا ينفع الندم ، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً﴾ (الفرقان/١٧-٢٨) .

** نتكلم يوم القيامة حتى نستعد له ونتوب ونعمل صالحاً فيما بقي من أعمارنا ، فإذا كنا مع المتقين فزنا ورب الكعبة ، قال تعالى ﴿لاَ

يحزنهم الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء/١٠١) .

** نتكلم عن يوم القيامة حتى نخاف من ذلك اليوم العظيم ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ (الإنسان/١٠-١٢) .

** يوم القيامة هو اليوم الأخير ويوم البعث ويوم الخروج ويوم الفصل ، ويوم الدين والجزاء والحساب ، ويوم الصاخة والطامة الكبرى ويوم الحسرة ويوم الخلود ويوم الوعيد ويوم الجمع ويوم التلاق وغيرها من الأسماء ، قال القرطبي رحمه الله (وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته ، وكثرت أسماؤه ، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة) التذكرة (٢١٤) .

ذكر القرطبي بعضاً مما قيل في وصف أهوال ذلك اليوم شعراً ص/٢١٤ :

مثل لنفسك أيها المغرور
يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدنيت
حتى على رأس العباد تسير
وإذا البحار تفجرت من خوفها
ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها
فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت
خلت الديار فما بها معمور
وإذا تقاة المسلمين تزوجت
من حور عين زانهن شعور
وإذا الصحائف نشرت وتطايرت
وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها

فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت
لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق
يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية
كيف المصر على الذنوب دهور

** نتكلم عن يوم القيامة لأننا جميعاً بحاجة إلى الوعظ والتذكير.

وسنذكر إن شاء الله بعض ما يتعلق بالنفخ في الصور وإفناء الأحياء ثم البعث والنشور والحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس في ذلك اليوم، والحساب والجزاء وأنواعه، ثم الميزان والحوض والشفاعة والصراط وغيرها.

إفناء الأحياء: هذا العالم الذي نعيش فيه، مليني بالحياة والأحياء والحركة التي لا تهدأ ولا تتوقف، ثم يأتي اليوم الذي يتوقف ويهلك فيه كل شيء من المخلوقات إلا ما شاء الله تعالى.

* يبدأ ذلك اليوم بالنفخة الأولى في الصور وهو القرن، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، وهذه اللحظة حرمت محمداً ﷺ من أن ينعم في هذه الدنيا الفانية، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ **"كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟"** قال: قولوا: **"حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا"** رواه الترمذي والحاكم وهو في السلسلة الصحيحة للألباني (١٠٧٩).

* فإذا نفخ صاحب القرن النفخة الأولى هلك كل شيء إلا من شاء الله تعالى، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ﴾ (الزمر/٦٨)، فعند النفخة الثانية تعود الأرواح إلى الأجساد ويقوم الناس

لرب العالمين، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ﴾ (يس/٥١).

* يبعثون خلقاً مختلفاً لا يموتون بعد ذلك مهما أصابهم من البلاء، قال تعالى ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوْعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُوْدٌ﴾ (هود/١٠٣).

تحشر الخلاق جميعاً إلى الموقف العظيم قال تعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوْشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير/٥).

* يحشر العباد في ذلك اليوم حفاةً عراةً غرلاً أي غير مختونين، وعندما سمعت عائشة الرسول ﷺ يقول **"يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً"** قالت: يا رسول الله، **"الرجال والنساء جميعاً، بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"** متفق عليه.

* **"يبعث كل عبد على ما مات عليه"** قاله رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم **"فالذي يموت وهو محرم يبعث ملبياً كما في الصحيحين، وهكذا الشهيد يبعث وجرحه يثعب، اللون لون الدم والريح ريح المسك، وهكذا كل عبد يبعث على ما مات عليه"**.

اهوال يوم القيامة: يوم القيامة عظيم أمره، وشديد هوله، لا يلاقي العباد مثله أبداً، وصفه الله تعالى في كتابه بأنه يوم عظيم، ثقيل، عسير.

* يوم القيامة يصاب الناس بالرعب والفزع والشدة، فالمرضع تذهل عن وليدها والحامل تسقط حملها والناس حالهم كحال السكارى من شدته، قال تعالى ﴿يَخَافُوْنَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوْبُ وَالأَبْصَارُ﴾ (النور/٣٧)، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيْدٌ﴾ (الآية/٢) من الحج.

* يوم القيامة تنقطع فيه علائق الأنساب والصداقات: قال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُوْنَ﴾ (المؤمنون/١٠١).

فكل إنسان يهتم بنفسه ولا يلتفت إلى غيره، بل إن الإنسان يفر من أحب الناس إليه، يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه،

لكل أمريءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه .

* بل إن المجرم الكافر يصل به الحال في ذلك اليوم إلى أن يتمنى لو دفع بأعز الناس عنده في النار لينجو هو من العذاب ، قال تعالى ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْيِهِ * وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج/٤-٧) .

* يوم القيامة يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض – أخبرنا بذلك رسول الله في الحديث المتفق عليه .

* في يوم القيامة تحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، وتفجر البحار ، وتمور السماء موراً وتنشق ، وتكور الشمس وتتناثر النجوم والكواكب ، حقاً إنه يوم عظيم .

أحوال الناس في يوم القيامة : تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم اختلافاً كبيراً .

** فالأتقياء لا يفزعون عندما يفزع الناس ، ولا يحزنون عندما يحزن الناس ، لأنهم أولياء الرحمان والذين عملوا بطاعته واستعدوا لهذا اليوم ، وتستقبلهم الملائكة وتبشرهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء/١٠١) .

** وفي ذلك اليوم ينادي منادي الرحمن ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزخرف/٦٨) وهذا جزاء من قال في الدنيا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ (الإنسان/١٠-١١) .

** ومن المؤمنين من يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله كما في الحديث المتفق عليه قال رسول الله ﷺ **"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عباد الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه**

وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه" وعند مسلم (٣٠٠٦) قال رسول الله "من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله " .

** قال رسول الله "من كظم غيظاً ، وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور العين شاء" رواه أبو داود والترمذي ، وصحيح الجامع (٦٣٩٨) .

* **أما حال عصاة المؤمنين** : فإن بعضهم قد قارف ذنوباً توقعه في أهوال ومشقات في ذلك اليوم العظيم .

** في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله "من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ، مثل ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك" وعند مسلم سئل رسول الله عن الإبل ، فقال "ولا صاحب أبل لا يؤدي منها حقها ... إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ، أوفر ما كنت ... تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها ، في كان يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ..." .

** وعند أحمد والترمذي قال رسول الله "يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة ، في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار ، طينة الخبال" (صحيح الجامع/٨٠٤٠) .

والكبر بطر الحق وغمط الناس كما صح عن رسول الله ﷺ .

** وقال رسول الله "ثلاثة لا يكلهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر" (رواه مسلم والنسائي) .

** وهناك ذنوب كثير أوقعت أصحابها في أهوال وصعاب يوم القيامة منها إسبال الإزار والمن بالعطية وحلف اليمين وهو فيها فاجر ، والديوث ، والغرور والغلول وغيرها .

** ومنها قوله ﷺ "مسألة الغني شين في وجهه يوم القيامة" أحمد

وهو في صحيح الجامع (٥٧٤٧) ومنه البصاق تجاه القبلة كما رواه أبو داود وغيره وهو في السلسلة الصحيحة (٢٢٢) قال رسول الله "**من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه**" .

** ومنها قوله ﷺ "**من ولّي من أمور المسلمين شيئا فاحتجب دون خلتيهم وحاجتهم وفقرهم ، احتجب الله عنه يوم القيامة ، دون خلته وحاجته وفقره**" (رواه أبو داود وابن ماجة وهو في صحيح الجامع/٦٤٧١) .

* وأما حال الكفار في ذلك اليوم العظيم فإنهم في ذلة وهوان وحسرة ويأس ، قال تعالى ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارَ**﴾ (سورة إبراهيم/٤٨) .

** ومن شدة هوانهم يتمنون أن يهلكهم الله ويجعلهم تراباً ، قال تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوْا وَعَصَوْا الرَّسُوْلَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ**﴾ (سورة النساء/٤١) .

** وفي ذلك اليوم يتخاصم الكفار فيما بينهم ويتبرأ المتبوع من التابع ويجادل الأتباع والضعفاء قادتهم وكبراءهم ، بل يتبرأ الشيطان منهم ويقول لهم ﴿**فَلاَ تَلُوْمُوْنِي وَلُوْمُوْا أَنْفُسَكُمْ**﴾ (سورة إبراهيم/٢٢) .

** بل يصل الأمر بالكافر يوم القيامة إلى أن يخاصم أعضاءه ، قال تعالى ﴿**وَقَالُوْا لِجُلُوْدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا * قَالُوْا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ (سورة فصلت/٢١) .

** وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ حال المنافق عندما يقول يوم القيامة "**آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ، فيقول : ألا نبعث شاهدنا عليك ، فيفكر في نفسه من الذي يشهد علي ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطقي ، وفمه عظامه بعمله ما كان ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، ذلك الذي يسخط عليه**" (رواه مسلم/٢٩٦٩) وغيره .

هذا بعض من أحوال الناس يوم القيامة وفي كتاب الله تعالى الكثير من ذلك وفي سنة رسول الله ﷺ كذلك .

** فأما الأتقياء الصالحون فيدخلون الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء .

** وأما الكفار فيدخلون النار مع الشيطان وفرعون وهامان وأبي جهل وغيرهم .

** وأما عصاة المؤمنين يوم القيامة فقد تدركهم رحمة الله عز وجل ويأذن عز وجل بأنواع الشفاعات لهم وأعظمها شفاعات رسول الله ﷺ القائل : "**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**" رواه أبو داود والترمذي وهو صحيح ، وفي الصحيحين أن رسول الله قال : "**إني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**" .

** والشفاعة في أهل الكبائر ليست خاصة بالرسول ﷺ ، فقد يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والعلماء والأعمال الصالحة كالصيام والصدقة والقرآن وغيرها .

والحساب والجزاء يوم القيامة : والمراد بهما أن يوقف الحق عز وجل عباده بين يديه ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها ، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة ، ويشمل الحساب أيضاً إقامة الحجج والبراهين والشهود ووزن الأعمال وغيرها .

** فالحساب إذاً ﴿**لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ**﴾ (سورة إبراهيم/٥١) .

** والحساب يوم القيامة منه اليسير ومنه العسير ومنه التكريم ومنه التوبيخ ، قال تعالى ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيْراً**﴾ (٧-٨) من سورة الانشقاق .

والحساب هنا معناه العرض ، كما في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله قال "**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**" ، فقلت : يا رسول الله : **أليس قد قال الله تعالى** ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيْراً**﴾ فقال رسول الله ﷺ : "**إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك**" (فتح الباري ١١/٤٠٠) .

** قال القرطبي : "**إن الحساب في الآية إنما هو أن تعرض أعمال**

المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة" فتح الباري (٤٠٢/١١) .

** قال ابن حجر : "الراد بالمناقشة (في الحديث) : الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة" (فتح الباري ٤٠١/١١) .

** وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أمثلة على الحساب بنوعيه :

ففي الصحيحين عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن الله يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ، فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك ، قال : سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته" (فتح الباري ٩٦/٥) (ومسلم ٢٧٦٨) .

وعند مسلم وغيره ، حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة وفيه : (فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال بلي يا رب ، قال : فماذا عملت فيما عملت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان قاري وقد قيل ذلك ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار) .

وفي يوم القيامة لا يظلم أحد مثقال ذرة بل العدل التام ، ولا يؤخذ أحد بوزر غيره قال تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اِقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ سورة الإسراء .

ومن رحمة الله عزوجل يوم الحساب أن الله عز وجل يضاعف الحسنات أضعافاً قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ (سورة الأنعام/١٦٠) .

** عن أبي ذر قال : حدثنا الصادق المصدوق فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال "الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد ، والسيئة واحدة وأغفرها ، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي ، لقيتك بقرابها مغفرة" أحمد والحاكم وهو في الصحيحة (١٢٨) .

بل من تمام رحمة الله عز وجل في ذلك اليوم العظيم ، يوم

الحساب أن يبدل السيئات حسنات ، ففي صحيح مسلم (١٩٠) "أن رسول الله ذكر عن رجل يؤتى به يوم القيامة ، فتعرض عليه ذنوبه ويقال له : إن لك مكان كل سيئة حسنة" .

يسأل العبد يوم الحساب عن اعماله في الدنيا :

** قال تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الحجر/٩٢) .

** وقال رسول الله "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه" (رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع/٧١٧٧) .

** وقال تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ سورة التكاثر ، وذكر ابن كثير عن السلف أن النعيم هنا هو صحة الأبدان والأسماع وشربة العسل والماء البارد وكل لذة .

** وقال تعالى ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ * إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (سورة الإسراء/٣٦) .

يوم الحساب يقتص الحكم العدل للمظلوم من ظالمة حتى الحيوان :

قال رسول الله "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء" صحيح مسلم (٢٥٨٢) ، وقال رسول الله "من ضرب بسوط ظلماً ، واقتص منه يوم القيامة" رواه البخاري في الأدب المفرد هو في صحيح الجامع (٦٢٥٠) .

أما القذف والسرقة والشتم والديون الأخرى فالحساب بالحسنات يوم القيامة :

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله قال "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء ، فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" .

وفي ختام ذلك اليوم العظيم ينصب الميزان لوزن أعمال العباد

وإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها:

قال تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ (سورة الأنبياء/٤٧).

(قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ القارعة).

وفي الصحيحين أن رسول الله قال "**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**".

وعند أبي داود والترمذي مرفوعاً "ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق".

قال الله تعالى ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ المؤمنون ١٠٢-١٠٣).

الحشر إلى دار القرار: الجنة أو النار: في آخر ذلك اليوم العظيم يطلب من كل أمة أن تتبع الإله الذي كانت تعبده، فتمثل للكافرين آلهتهم الباطلة ثم تسير أمامهم ويتبعونها إلى جهنم فيتساقطون فيها، حتى الذين يعبدون البشر، قال تعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (سورة هود/٩٨).

ولا يتبقى بعد ذلك إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب وفي المؤمنين المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا، فيأتيهم ربهم، ويقول لهم ما تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا، فيعرفونه بساقه وعند ذلك يخرون له سجوداً إلا المنافقون فلا يستطيعون لأن الله جعل ظهورهم طبقة واحدة، قال تعالى عنهم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾، ثم يتبع المؤمنون ربهم، وينصب الصراط ويمر العباد المؤمنون على الصراط بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فمنهم من يمر كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كشد الرجل حتى يمر رجل تخريد وتعلق يد، وتصيب جوانبه النار فيخلصون فإذا خلصوا، قالوا: الحمد الله الذي نجانا منك بعد أن أرانا.

فتوهم نفسك يا أخي إذا صرت على الصراط، ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة، قد لظى سعيرها وعلا هيبها وأنت تمشي أحياناً وتزحف أحياناً.

أبت نفسي تتوب فما احتيالي
إذا برز العباد لذي الجلالي
وقاموا من قبورهم سكارى
بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا
فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن
تلقاه العرائس بالغوالي
يقول له المهيمن يا وليي
غفرت لك الذنوب فلا يبالي

- **اللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.**
- **اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.**
- **اللهم أجرنا من أهوال يوم القيامة وأظلنا في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.**
- **اللهم حاسبنا حساباً يسيراً وثقل موازيننا يوم العرض عليك.**
- **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.**

*****

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

****

البعث الإسلامي :
الدعوة الإسلامية :

هل المجتمع يمرض ؟!

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور محمد بن الشويعر

أن نتحدث في هذا الموضوع ، نطرح هذا السؤال : هل الإنسان يؤثر في المجتمع ؟ أو المجتمع هو الذي يؤثر في الإنسان ؟ وما موطن الالتقاء أو الافتراق بينهما ؟ ! سؤال يحتاج إلى جواب .

لقد حظي الفرد في كثير من المجتمعات الغربية ، بمكانة رفيعة ، من العناية والمتابعة ، بحيث اعتبره القانون الطبي عندهم أنفس جوهرة ، يجب صيانتها ورعايتها ، وأغلى مكسب يحسن المحافظة عليه ، ولذا صدرت في بعض مجتمعاتهم ، أنظمة تعاقب الآباء ، وأولياء الأمور ، في إهمالهم تحصينات أطفالهم عن بعض الأمراض ، أو التساهل في حمايتهم عن بعض الأوبئة ، باعتبار الصغير لا يقدر على رعاية نفسه ، وضعيف الإدراك في معرفة أساليب الوقاية أو طرق العلاج .

هذا في الوقت الذي أهملت التربية جوانب توجيه النفس ، وتعريفها بما يزكيها ، ويربي المثل والقيم ، في الأفراد ، مما كان نتيجته نشوء آفات عديدة ، مبعثها البعد عن الروح الدينية ، والائتمار بمنهجها .

إلى غير هذا من أمور يحسها الإنسان ، ويلمس أثرها في الاهتمام بمحاصرة الأمراض الظاهرة على الأبدان ، وخاصة المعدية منها ، في محاولة لحماية النفس البشرية منها ، إذ أن هذا الاهتمام البدني ، قلل الآفات التي تعود على الإنسان ، وارتقى بموجبه المستوى الصحي ، في كثير من بقاع الأرض ، حيث تواصل ذلك مع مواصلة البحث ، والمتابعة ، عن كل أمر جديد ، تم الحرص على الإرتقاء بأساليب المعالجة الجسمانية ، والاهتمام بتطوير وسائل ذلك العلاج ، تم هذا في الأمور المحسوسة .

إلا أنهم غفلوا عن الأمراض الاجتماعية ، التي تبدأ صغيرة في

كل مجتمع ، ثم تكبر وتتفشى في البيئة ، وتنتقل بالعدوى أو التقليد لمجتمعات أخرى ، دون أن تحاصر ، كما يحاصر الوباء الشخصي ، بل حتى الوفاء النباتي ، حتى تستشري في التجمعات ، فتبدأ في تقويضها ، كما يسري أثر السوس ، عند ما يبدأ النخر في الأخشاب .

وتدعو لمحاربة الأمراض الاجتماعية ، كل نفس ترنو إلى المثل ، وتريد الإرتقاء إلى الراحة والكمال في البيئة ، حتى لو لم تكن متدينة أو ترتبط بقاعدة دينية ، كما يلمس هذا في المجتمع العربي ، قبل البعثة بالرسالة المحمدية ، نموذج ذلك عبد الله بن جدعان ، أحد أثرياء قريش ، فقد كانت سفرته ممدودة ، يعين ذا الحاجة ، ويعتق الأرقاء ، ثم يساعدهم بماله ، ويتحمس للبنات اللواتي يقتلهن أهاليهم بالوأد ، ويسعى في كل مكرمة وإصلاح بماله أو جاهه ، هذا وهو لا يزال على شركه ، وقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عنه ، هل ينفعه ذلك في الآخرة ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : "لا لأنه لم يقل يوماً : اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين" فهذا قد حرص على محاربة الأدواء الإجتماعية ، وسعى في علاجها بنفسه وماله وجاهه ، فأراد المحمدة الدنيوية ، ونسى نفسه ومعالجتها بما يرضى الله سبحانه .

ومثل ذلك حاتم الطائي : الذي يضرب به المثل بالكرم ، والإهتمام بكل ما ينفع المجتمع ، فإن ابنته "سنانه" لما وقعت في الأسر كان كلما مر بمكانها رسول الله ﷺ ، ذهاباً وعودة ، تقول : من علي يا رسول الله ، فإن أبي يكرم الضيف ، ويفيك الأسير ، ويساعد العاني ، ويحب مكارم الأخلاق ، ويسعى فيها ، ففي الثالثة قال ﷺ : "خلوا عنها فإن أباها يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق ، وألحقوها بأخيها في الشام" ثم قال لها : "لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه" .

ذلك أن الإنسان عندما يسترشد ، بالتوجيهات الشرعية ، التي جاءت من عند الله صافية نقية ، ويطبق تعاليم دينه ، التي بلغها رسول الله ﷺ ، عملاً في نفسه ، ودعوة لغيره ، ويتشبع بها عقيدة ، فإنه لاشك سيحس بفائدة أمكن ، أكثر من فائدة الدواء للمريض .

وسيجد لذة أقوى من لذة الطعام ، رغم ما يصاحبه من شهيات

ومقبلات، كما بان من الحديث الصحيح الذي جاء فيه، **"ذاق حلاوة الإيمان، من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً رسولاً"**.

فالمجتمعات التي فقدت، مثل هذه الأسس المتينة، في الوقاية من الآفات، ولم تعرف العلاج الذي يوجه إليه دين الإسلام، فإنها مجتمعات تعيش متخلفة عقلياً، رغم تقدمها في العلم المادي لأن الإنسان كما قال بعض الحكماء، قد خلق من عقل وشهوة، أما الملائكة فخلقوا من عقل بدون شهوة، البهائم خلقت من شهوة بلا عقل، فمن غلبت من البشر عقله شهوته، فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله، فهو شر من والبهائم، والإنسان المسلم، إنما يسترشد بعقله، ليتغلب على شهوته به، ويستعين في ذلك بسلاح قوي، هو سلاح الإيمان بالله، الذي يجعله يهتم بالأوامر، فيطبقها، وينزجر عن النواهي فيبتعد عنها.

وما ذلك إلا أنه يقف، حسبما يجد في مصدري التشريع، فيرتفع عن المرتبة الحيوانية، إلى ما شرفه الله به من عقل يدرك به، وشرع يمتثله محبة لله، وعمل يطبقه، رغبة فيما عند الله، واستجابة لرسول الله ﷺ.

هذا من مفهوم الكرامة التي خص الله بها بني آدم، والمكانة التي فضلهم الله سبحانه بها، على كثير من مخلوقاته: ومتى غفل الإنسان عن شيء من ذلك، فإنه يضر بنفسه، ويفسد مجتمعه، حتى ينتشر هذا المرض فيه.

وقد فهم هذا المدلول أعرابي، بفطرته السليمة، عند ما قال لرجل يعظه: غفلنا فلم يغفل الدهر عنا، فلم نتعظ بغيرنا حتى اتعظ غيرنا بنا، فقد أدركته السعادة من تنبه، وأدركت الشقاوة من غفل، وكفى بالتجربة واعظاً.

فقد أدرك هذا الأعرابي، مدخلاً من مداخل الأمراض الاجتماعية، وحرص بأن يساعد في وصف العلاج لمن حوله من هذا الداء، وقد أدرك ذلك من اتباعه لمنهج سليم، أخذه من مدرسة الإسلام، الذي تخاطب شرائعه وتعليماته العقول السليمة، والفطر

التي لم يخالطها، ما يحرفها عن هذا الدرب الواضح بمعالمه، يقول ﷺ: **"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تلد الشاة شاة جمعاء، هل ترون فيها من جدعاء"**.

والأمراض الاجتماعية، قد اتسعت دائرتها، في عصرنا الحاضر، الذي يوسم بعصر العلم والتكنولوجية، فقد تطورت أساليب البحث، وتنوعت الإختصاصات العلمية، وتكاثرت فروع كل مادة، تبعاً لتوسع في الإختصاصات، وبان عن طريق ذلك، لكل مرفق من مرافق الحياة، نقاط ضعفه، بما يسمى مرضاً، ومراكز قوته التي تعتبر مظاهر صحية، واهتم الإنسان بتسخير الجهود، رغبة في تغلب الصحة على المرض، وليقوى عامل الإيجاب، على ظاهرة السلب، يقول سبحانه: **يَعْلَمُوْنَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُوْنَ** (الروم/٧).

والمجتمع لم يكن بمعزل عن ذلك، لأن جميع مظاهر الحياة، وما يمكن إبرازه فيها، من علوم ومعارف، إنما القصد فيها أساساً عندهم، من علوم ومعارف، أن توجه للفرد مادياً، للرفع من مستواه، وللمجتمع الرغبة في تحسين أوضاعه بنظرة للواقع الآني، حسبما يراه الإنسان، فكم تحقق ما يرجي منها والسبب هو.

إن تلك الأمور وجهت توجيهاً مادياً، وأغفل المهتمون - أو من يسمون الخبراء والمخططين - الجوانب الروحانية الهامة، والتي تريح، كما يرتاح المريض، بالعلاج الذي سكن مرضه المحسوس.

فالمجتمع كالجسم يمرض كما يمرض، ويعالج كما يعالج بأنواع من المسكنات، لكن أمراض الجسم، وأعراض ما يعتريه، قد تختلف عن أمراض المجتمعات، ومظاهر ما يدب فيه، وآثار ذلك، رغم أن مرض المجتمع أشد خطراً، ولكنه أسهل علاجاً، كما يروى عن إبراهيم بن الأدهم أنه قال: **"لو يعلم الملوك وأبناء الملوك، ما نحن فيه من راحة نفوس، وطمأنينة قلوب، لجالدونا عليه بالسيوف، يريد قوة الإيمان، والرضا بما قسم الله، وراحة العبادة"** (للحديث صلة).

← **سماعك بالمعيدي وأصله:**

روى أبو هلال العسكري أن أصل : سماعك بالمعيدي ، خير من أن تراه : أن رجلاً من تميم يقال له : ضمرة بن ضمرة ، كان يغير على سوارح النعمان بن المنذر ، فلما أعيا صبر النعمان ، كتب إليه : ادخل في طاعتي ، ولك مائة من الابل فقبلها ، وأياه فلما نظر إليه ازدراه ، كان دميماً ، فقال : تسمع بالمعيدي لا أن تراه .

فقال ضمرة : مهملاً أيها الملك ، إن الرجال لا يكالون بالصيعان ، ولا يوزنون بالميزان ولست بجزور تجزر ، وإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن نطق نطق ببيان ، وفي رواية : فإن رزق المرء لساناً ناطقاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الشرف ، فقال : صدقت لله درك ، هل لك علم بالأمور ، وولوج فيها ، قال : والله إني لأبرأ منها المسحول ، وأنقض منها المقتول ، وأحيلها حتى تحول ، ثم انظر ماذا تؤول ، وليس للأمور بصاحب ، من لم ينظر في العواقب ، فقال : صدقت لله درك ، فأخبرني ما العجز الظاهر ، والفقر الحاضر ،والداء العياء ، والسوأة السوأى ؟ ! .

قال ضمرة : أما العجز الظاهر ؟ فالشاب القليل الحيلة ، اللزوم للحليلة ، الذي يحوم حولها ، ويسمع قولها ، فإن غضبت ترضاها ، وإن رضيت فداها ، وأما الفقر الحاضر ؟ فالمرء لا تشبع نفسه ، وإن كان من ذهب رحله ، وأما الداء العياء ؟ فجار السوء ، إن كان فوقك قهرك ، وإن كان دونك همزك ، وإن أعطيته كفرك ، وإن منعته شتمك ، فإن كان ذلك جارك ، فأخل له دارك ، وعجل منه فرارك ، وإلا فأقم بذل وصغار ، وكن ككلب هرار .

وأما السوأة السوأى ؟ فلخليلة الصخابة ، الخفيفة الوثابة ، السليطة السبابة ، التي تعجب من غير عجب ، وتغضب من غير غضب الظاهر عيبها ، المخوف غيبها ، فزوجها لا يصلح له حال ، ولا ينعم له بال ، إن كان غنياً ، لم ينفعه غناه ، وإن كان فقيراً أبدت له قلاه ، فأراح الله منها بعلها ، ولا متع الله بها أهلها ، فأعجب النعمان حسن كلامه فأحسن جائزته ، وأجلسه قبله (ص/٧٧ - ٨٨) .

الدعوة الإسلامية :

الحج

صلة وثيقة للتضامن الإسلامي والوحدة والثقافة العالمية

بقلم : محمد صهيب السلفي

الحج ركن من أركان الإسلام ، وهو عماد الدين ، فمن استطاع إليه سبيلاً ، وجب عليه الحج ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران ٩٧) وجاء في الحديث النبوي : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلوة ، وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان . (متفق عليه)

فمن المعلوم أن هذه الأركان للإسلام واجبة على كل مسلم فمن هدم ركناً واحداً منها ، هدم الدين .

ومشروعية تاريخ الحج أن قال أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام لما رجع من مصر وكان فرعون ذلك الوقت قد أهدى إليه جارية ، وهي هاجرة لخدمة زوجته سارة ، علما بأنها ولية الله ، و ولد إسماعيل عليه السلام من بطن هاجرة عليها السلام ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (ابراهيم ٣٧)

فثبت أن بيت الله المحرم كان موجودا قبل ولادة إسماعيل عليه السلام كما قال الله تعالى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

لِلْعَالَمِيْنَ﴾ (آل عمران ٩٦)

ولهذه الأرض المقدسة أسماء عديدة : بكة ، مكة ، أم القرى ، قرية مطمئنة ، قرية أمنة بلدة الحرام وبلد أمين .

فمن هذه الآية ثبت أيضا أن بيت الله المحرم أول عمارة للناس عمر في الدنيا بالنسبة إلى عمارات الناس لعبادة الله .

فلما صار إسماعيل فتى ، جاء إبراهيم عليه السلام وأخبر برؤياه ولده عن ذبحه ، قال ﴿يَأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ * وَنَادَيْنَهُ أَنْ يَآ إِبْرَاهِيْمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِيْ الْمُحْسِنِيْنَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِيْنُ * وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِيْ الآخِرِيْنَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ﴾ (الصافات ١٠٢ إلى ١٠٩) .

بعد ما ترك إبراهيم أهله في وادٍ غير ذي زرع جاء ثلاث مرات إلى إسماعيل ، فلما جاء مرة ثانية وجده يختلق النبل عند ماء زمزم تحت الشجرة الكبيرة حيث تركهما في أول مرحلة .

حينئذ ، بيت الله المحرم كان أكمة ، فعمراه من جديد كما قال الله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيْلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ﴾ (البقرة ١٢٧) .

فلما كمل بناؤه قال الله تعالى لإبراهيم ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيْمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لاَ تُشْرِكْ بِيْ شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيْ لِلطَّآئِفِيْنَ وَالْقَائِمِيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُوْدِ * وَأَذِّنْ فِيْ النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوْكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيْنَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ * لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوْا اسْمَ اللهِ فِيْ أَيَّامٍ مَعْلُوْمَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيْمَةِ الأَنْعَامِ * فَكُلُوْا مِنْهَا

وَأَطْعِمُوْا الْبَائِسَ الْفَقِيْرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوْا تَفَثَهُمْ وَلْيُوْفُوْا نُذُوْرَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوْا بِالْبَيْتِ الْعَتِيْقِ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوْا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوْا قَوْلَ الزُّوْرِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِيْنَ بِهِ * وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِيْ بِهِ الرِّيْحُ فِيْ مَكَانٍ سَحِيْقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوْبِ * لَكُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ﴾ (الحج ٢٦ إلى ٣٣) .

إن ننظر جزيرة العرب على كرة أرضية من مساحة جغرافية نجدها في وسط قارة آسيا وأوربا و إفريقيا ، ووضعها الله على حكمة في وسطها بحيث أن تنتخب جزيرة الغرب مركزا للهداية إلى الدنيا كلها ، وأيضا إن نحن نريد أن ننتخب أرضا من حيث ينتشر الإسلام ، ننتخب جزيرة العرب بوقوعها في الوسط الأرضي ولهذا قال الله تعالى :

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ * قَالَ إِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا * قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِيْ * قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِيْ الظَّالِمِيْنَ ثم دعا إبراهيم عليه السلام رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ * قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيْلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ * وَيُزَكِّيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾ (البقرة ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩) .

فبعث الله من نسل إسماعيل عليه السلام محمدا رسولا رحمة للعالمين خاتم النبيين ، فانتشر الإسلام من جزيرة العرب الذي كان هو ديناً لإبراهيم وإسماعيل وإسحق على طريقهم ، كما قال الله تعالى وهو يخاطب بني إسرائيل على لسان يعقوب :

﴿مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِيْ * قَالُوْا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ﴾ .

الحج صلة وثيقة للتضامن الإسلامي والوحدة والثقافة العالمية ، كما قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوْا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيْمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِيْنَ وَالْعَاكِفِيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُوْدِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ .

كان بيت الله قبل عمارة إبراهيم وإسماعيل من جديد مثابة ومعبدا ومرجعا للناس لعبادة الإله الواحد ، وبعد عمارة له منها من جديد صار مرجعا للخلائق وخاصة لأفئدة من الناس ، فكانوا يحجون مناسكهم في كل عام ويعتمرون تمام سنة بكلمة واحدة وفي لباس واحد ، وتجبى إليه الثمرات من أقطار الأرض ، وهذا البيت المقدس ومأمون من كل الهجوم على أن تعبد المعابد الأخرى لغير الله غير بيت الله المحرم كما هجم أبرهة ، على مكة لهدم بيت الله ولكن عذبه الله عذابا شديدا فصار عبرة للأولين والآخرين .

ولكن ما زالت العصور تمر حتى شرع عمرو بن لحي يشرك

ونشر الشرك في جزيرة العرب بحيث أتى بشعيرته من اليمن ، ألقى الشيطان في أمنية الناس أن صورة عُباد قوم نوح صالحين قد دفنت في مكان فلان وفلان ، فأخرج الناس تماثيلهم وبدؤا يعبدونهم حتى وضعوا في بيت الله المحرم ثلاث مأة وستين صنماً .

عندما ولد محمد ﷺ وبلغ أشده كان بناء بيت الله المحرم ضعيفاً بكثرة المعاناة للسيول والفيضانات فقرر الناس أن يصلحوه من جديد ، فبدؤا يبنون ، وكان يرفع محمد ﷺ أحجارا لبنائه حتى تم البناء ، ولكن قام نزاع بين القبائل لوضع الحجر الأسود الذي جاء من الجنة كما في الحديث الصحيح ، فحكم محمد رسول الله ﷺ بينهم أن الرجل الذي يدخل أولا مبكرا بالصبح في المسجد الحرام ، هو الذي يضع الحجر الأسود وينصب في مكانه فلما أسفر الصبح ، رأى الناس محمدا في بيت الله ، فدعا محمد ﷺ بالقطيفة ، فأتي بها ، فافترشت ، فوضع الحجر الأسود عليها ، فقال محمد رسول ﷺ لرؤساء القبائل : خذوا الرداء من كل جانب من أربع جهات ، وارفعوا ، فرفعوا ، فنصبه محمد رسول الله ﷺ ، فهكذا رفع النزاع والقتال من بينهم .

فلما فتحت مكة ، أخذ يكسر الأصنام بعصاه ، وكان فيه حينذاك تمثال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وفي السنة التاسعة للهجرة ، أمر النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على الحج وأمره أن يؤذن في الناس ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان .

فعاد عصر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعد بعثة النبي محمد ﷺ ، ولا يزال الناس يحجون ويعتمرون وخاصة أفئدة من الناس

يحجون مناسكهم في لباس واحد وفي كلمة واحدة ، ويكون منظر عجيب وفقا لهذا الحديث الصحيح : لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، ووفقاً لهذه الآية : وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ .

ما رأت السماء هذا المنظر للأخوة والمساواة قط ، ولا ترى إلى يوم القيامة ، وكان هذا نتيجة الدعاء الذي دعاه إبراهيم عليه السلام : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِيْ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ﴾ .

أنظروا ! كيف يهوي الناس إلى بيت الله من أقاليم الهند ومن أقطار الأرض كلها ناطقين بمختلف اللسان ، قاطنين في مختلف الأرض نجداً و وهادا ، جبلا وسطحا ، وساحلا للبحر والنهر ، ولابسين مختلف اللباس ثقافة وعاملين بمختلف العمل تجارة وزراعة وفناً وتوظيفاً ودراسةً ، ولكن كلمة واحدة تجري على ألسنتهم لكبرياء الله وعظمته : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك ، تهتز وترتج السماء والأرض بتلبيتهم .

وفي تلبيتهم يُقِرُّوْنَ يا الله حاضرون لك ولا شريك شيء لك في عبادتك والأمور كلها ، كل حمد وشيء جميل لك ، وفي ملكوتك لا شيء شريك لك فيه .

بعد إقرار هذه الكلمة ، المسلمون كلهم يرتبطون بالتضامن الإسلامي وينضمون إلى راية الوحدة والثقافة العالمية .

الآن ، كل بلد في الأرض يوفر للناس تسهيلات لأداء مناسك

الحج وعبادة لله الواحد ، هذه علاقة ودية وصلة وثيقة للتضامن الإسلامي والعالمي .

وفي عقد ودي وصلة وثيقة للتضامن الإسلامي والعالمي قاله محمد رسول الله ﷺ في حجة الوداع :.....

.....فأتى بطن الوادي ، فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شئي من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث وكان مسترضعا في بني سعد فقتله هذيل ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بإمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون : قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس ، اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! ثلث مرات (رواه مسلم) .

هذه النصوص والتوجيهات تدل على أن الحج صلة وثيقة وعلاقة ودية للتضامن الإسلامي والوحدة الإنسانية والثقافة العالمية .

***

البحث الإسلامي :

الفقه الإسلامي :

أين توزع الزكاة ؟

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد (القاهرة)
(Email:ashmon59@yahoo.com)

فلما جاء الإسلام وأمر المسلمين بإيتاء الزكاة كما أمر ولي الأمر بأخذها جعل من سياسته أن توزع في الإقليم الذي تجبى منه ، وهذا متفق عليه في شأن المواشي والزروع والثمار ، فان الزكاة تفرق حيث يوجد المال ، واختلفوا في النقود ونحوها ، هل توزع حيث يوجد المال أو حيث يوجد المالك ، والأشهر الذي عليه الأكثرون أنها تتبع المال لا المالك . والدليل على هذه السياسة هو سنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، فحين وجه ﷺ سعاته وولاته إلى الأقاليم والبلدان لجمع الزكاة ، أمرهم أن يأخذوها من أغنياء البلد ، ثم يردوها على فقرائه . وقد أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن وأمره أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم ، وقد نفذ معاذ وصية النبي ﷺ ، ففرق زكاة أهل اليمن في المستحقين من أهل اليمن ، بل فرق زكاة كل إقليم في المحتاجين منه خاصة . وعن أبي جحيفة قال : قدم علينا مصدق رسول الله ﷺ فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في فقرائنا ، فكنت غلاما يتيما ، فأعطاني منها قلوصا "ناقة" رواه الترمذي . وفي الصحيح أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ عدة أسئلة منها بالله الذي أرسلك ، آلله أمرك أن تأخذ الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ قال (نعم) . وروى أبو عبيد عن عمر رضي الله عنه أنه قال في وصيته : أوصي الخليفة من بعدي بكذا ، وأوصيه بكذا ،

وأوصيه بالأعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام : أن يأخذ من حواشي أموالهم فيردها في فقرائهم . وكذلك كان العمل في حياة عمر أن يفرق المال حيث جمع ، ويعود السعاة إلى المدينة لا يحملون شيئا غير أحلاسهم التي يتلفعون بها ، أو عصيهم التي يتوكأون عليها ، فعن سعيد بن المسيب أن عمر بعث معاذا ساعياً على بني كلاب ، أو على بني سعد بن ذبيان ، فقسم فيهم حتى لم يدع شيئاً ، حتى جاء بحلسه الذي خرج به على رقبته ، وقال سعد من أصحاب يعلى بن أمية ، وممن استعملهم عمر في الزكاة : كنا نخرج لنأخذ الصدقة فما نرجع إلا بسياطنا ، وسئل عمر عما يؤخذ من صدقات الأعراب : كيف نصنع بها ؟ فقال عمر : والله لأردن عليهم الصدقة ، حتى تروح على أحدهم مأة ناقة أو مأة بعير ، هذا إلى أن نقل الزكاة من بلد مع حاجة فقرائه ، مخل بالحكمة التي فرضت لأجلها ، ولذا قال في المغني : ولأن المقصود بالزكاة إغناء الفقراء بها ، فإذا أبحنا نقلها أفضى إلى بقاء فقراء ذلك البلد محتاجين ، وعلى هذا النهج الذي اختطه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون سار أئمة العدل من الحكام ، وأئمة الفتوى من فقهاء الصحابة والتابعين .

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه وُلي عاملا على الصدقة من قبل زياد بن أبيه أو بعض الأمراء في عهد بني أمية فلما رجع قال له : أين المال ؟ قال : وللمال أرسلتني ؟! أخذناه من حيث كنا نأخذه على عهد رسول الله ﷺ ووضعناه حيث كنا نضعه ، رواه أبو داؤد وابن ملجة. وولى محمد بن يوسف الثقفي طاووساً فقيه اليمن عاملا للصدقة على مخلاف "إقليم" فكان يأخذ الصدقة من الأغنياء فيضعها في الفقراء ، فلما فرغ قال له : ارفع حسابك ، فقال : مالي

حساب : كنت آخذ من الغني فأعطيه المسكين . وعن فرقد السبخي قال : حملت زكاة مالي لأقسمها بمكة ، فلقيت سعيد بن جبير فقال : أرددها فاقسمها في بلدك . وعن سفيان الثوري : أن زكاة حملت من الري إلى الكوفة فردها عمر بن عبد العزيز إلى الري . قال أبو عبيد : والعلماء اليوم مجمعون على هذه الآثار كلها : أن أهل كل بلد من البلدان أو ماء من المياه "بالنظر للبادية" أحق بصدقتهم ما دام فيهم من ذوي الحاجة واحد فما فوق ذلك ، وإن أتى ذلك على جميع صدقتها ، حتى يرجع الساعي ولا شيء معه منها . وقال أيضا : إن كل قوم أولى بصدقتهم حتى يستغنوا عنها ، ونرى استحقاقهم ذلك دون غيرهم . فإن جهل المصدق فحمل الصدقة من بلد إلى آخر سواه وبأهلها فقر إليها ، ردها الإمام إليهم ، كما فعل عمر بن عبد العزيز ، كما أفتي به سعيد بن جبير . إلا أن إبراهيم النخعي والحسن البصري رخصا في الرجل يؤثر بها قرابته . قال أبو عبيد : وإنما يجوز هذا للإنسان في خاصته وماله ، فأما صدقات العوام "جمهور الأمة" التي تليها الأئمة "أولو الأمر" فلا . ومثل قولهما حديث أبي العالية : أنه كان يحمل زكاته إلى المدينة ، قال أبو عبيد : ولا نراه خص بها إلا أقاربه مواليه .

وإذا كان الأصل المتفق عليه أن الزكاة تفرق في بلد المال الذي وجبت فيه فإن من المتفق عليه كذلك أن أهل البلد إذا استغنوا عن الزكاة كلها أو بعضها ، لانعدام الأصناف المستحقة أو لقلة عددها وكثرة مال الزكاة جاز نقلها إلى غيرهم ، إما إلى الإمام ليتصرف فيها حسب الحاجة أو إلى أقرب البلاد إليهم .

روى أبو عبيد : أن معاذ بن جبل لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن حتى مات النبي ﷺ ، وأبو بكر ، ثم قدم على عمر ،

فرده على ما كان عليه ، فبعث إليه معاذ بثلث صدقة الناس ، فأنكر ذلك عمر ، وقال : لم أبعثك جابياً ولا آخذ جزية ، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد على فقرائهم ، فقال معاذ : ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذه مني ، فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك كان العام الثالث بعث إليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك ، فقال معاذ : ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً ، إن إنكار عمر على معاذ في أول الأمر ، ثم مراجعته له مرة ، ومرة ، ومرة ، دليل على أن الأصل في الزكاة تفريقها في بلدها ، وإقرار عمر صنيع معاذ بعد مراجعته دليل على جواز نقل الزكاة إذا لم يوجد من يستحقها في بلدها .

وقد تشدد بعض المذاهب فلم يجز النقل إلى بلد آخر أو إلى مسافة تقصر فيها الصلاة ، ولو كان ذلك لحاجة ، قال الشافعية : لا يجوز نقل الزكاة من بلد إلى غيره ، ويجب صرفها في بلد المال ، إلا إذا فقد من يستحق الزكاة في الموضع الذي وجهت إليه ، وكذلك عند الحنابلة ، فإذا نقلها مع وجودهم أثم وأجزأته ، لأنه دفع الحق إلى مستحقه فيبرأ كالدين ، وقال بعضهم : لا تجزئه لمخالفة النص ، أما الحنيفة فقالوا : يكره نقلها إلا أن ينقلها إلى قرابة محتاجين ، لما في ذلك من صلة الرحم ، أو إلى فرد أو جماعة هم أمس حاجة من أهل بلده ، أو كان نقلها أصلح للمسلمين ، أو من دار الحرب إلى دار الإسلام ، لأن فقراء المسلمين الذين في دار الإسلام أفضل وأولى بالمعونة من فقراء دار الحرب أو إلى عالم أو طالب علم ، لما فيه من إعانته على رسالته ، أو كان نقلها إلى من هو أروع أو أصلح أو أنفع للمسلمين أو كانت الزكاة معجلة قبل تمام الحول ، فإنه في هذه الصور جميعها لا

يكره له النقل ، وعند المالكية : يجب تفرقة الزكاة بموضوع الوجوب أو قربه ، وهو ما دون مسافة القصر ، لأنه في حكم موضع الوجوب ، فإن لم يكن بمحل الوجوب أو قربه ، مستحق ، فإنها تنقل كلها وجوباً لمحل فيه مستحق ، ولو على مسافة القصر ، وأن كان في محل الوجوب أو قربه مستحق تعين تفرقتها في محل الوجوب أو قربه ، لا يجوز نقلها لمسافة القصر إلا أن يكون المنقول إليهم أعدم "أحوج وأفقر" فيندب نقل أكثرهم لهم ، فإن نقلها كلها أو فرّقها كلها بمحل الوجوب أجزأت .

فأما إن نقلها إلى غير أعدم وأحوج فذلك له صورتان : الأولى : أن ينقلها إلى مساو في الحاجة لمن هو في موضع الوجوب ، فهذا لا يجوز ، وتجزئ الزكاة ، أي ليس عليه إعادتها ، والثانية : أن ينقلها إلى من هو أقل حاجة ، ففيها قولان : ما نص عليه "خليل" في مختصره أنها لا تجزئ ، والثاني ما نقله ابن رشد والكافي وهو الإجزاء ، لأنها لم تخرج عن مصارفها ، وعند الزيدية : بكره صرف زكاة بلد في غير فقرائه ، مع وجود الفقراء فيه ، بل الأولى فقراء البلد إذا وجدوا ، وسواء في ذلك رب المال والإمام ، قالوا : والكراهة عندنا ضد الاستحباب ، فلو صرف في غير فقراء البلد أجزأه وكره ، ما لم ينقلها لتحقيق غرض أفضل ، كقريب مستحق أو طالب علم ، أو من هو أشد حاجة ، فلا يكره ،بل يكون أفضل ، وعند الأباضية : هل يفرق الإمام في فقراء كل بلد أخذها منه الثلث أو النصف ، ويأخذ الباقي لإعزاز دولة الإسلام ؟ قولان ، قالوا : وإن إحتاج إلى جمعيها أخذه ، ويعطيهم من قابل ما يصلح ، وإن لم يحتج فرقها كلها ، وإذا اكتفى أهل قرية فأقرب القرى إليها .

إن ألأصل في الزكاة أن تفرق حيث جمعت ، رعاية لحرمة الجوار ، وتنظيما لمحاربة الفقر ومطاردته ، وتدريباً لكل إقليم على

الاكتفاء الذاتي وعلاج مشاكله في داخله ، ولأن فقراء البلد قد تعلقت أنظارهم وقلوبهم بهذا المال ، فكان حقهم فيه مقدما على حق غيرهم ، ومع ذلك كله لا يرى الشيخ القرضاوي مانعا من الخروج على هذا الأصل ، إذا رأي الإمام العادل بمشورة أهل الشورى في ذلك مصلحة للمسلمين وخيراً للإسلام ، ويقول : ويعجبني ما قاله الإمام مالك في هذا : لا يجوز نقل الزكاة إلا أن يقع بأهل بلد حاجة فينقلها الإمام إليهم على سبيل النظر والاجتهاد ، وقال ابن قاسم من أصحابه : إن نقل بعضها لضرورة رأيته صواباً ، وروى عن سحنون أنه قال : ولو بلغ الإمام أن في بعض البلاد حاجة شديدة جاز له نقل بعض الصدقة المستحقة لغيره إليه ، فإن الحاجة إذا نزلت وجب تقديمها على من ليس بمحتاج (والمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه) وذكر في المدونة عن مالك : أن عمر بن خطاب كتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر ، عام الرماد : يا غوثاه ، يا غوثاه للعرب !! جهز إلي عيرا يكون أولها عندي وآخرها عندك ، تحمل الدقيق في العباء "الثياب" فكان عمر يقسم ذلك بيهم على ما يرى ، ويوكل على ذلك رجالاً ويأمرهم بحضور نحر الإبل ، ويقول : إن العرب تحب الإبل ، فأخاف أن يستحيوها ، فلينحروها ، وليأتدموا بلحومها وشحومها وليلبسوا العباء الذي أتى فيها الدقيق ، وهكذا تتكافل الأقاليم والأقطار الإسلامية في ساعة العسرة ، ويكمل بعضها بعضاً .

ومما يؤيد ذلك ما يأتي : أولا : أن أي بلد أو إقليم في الدولة الإسلامية الواسعة ليس جزاء مستقلا كل الاستقلال ، ولا ولاية منفصلة عن سائر الولايات ، ولكنها ترتبط بالحكومة المركزية ، وبسائر المسلمين ارتباط الجزء بالكل ، والفرد بالأسرة ، والعضو

بسائر الجسد، وهذه الوحدة والترابط والتكافل الذي بفرضه الإسلام، لا يستقيم معه أن يترك كل بلد وشأنه في عزلة عن البلاد الأخرى، وعن عاصمة الإسلام، فإذا نزلت نازلة كمجاعة أو حريق أو وباء ببلد، كان أهله أحوج إلى العون، وإسعافهم ألزم من ذوي الحاجة في بلد الزكاة، ثانياً: أن هناك مصارف مثل تأليف القلوب على الإسلام والولاء لدولته، ومثل سبيل الله فقد اخترنا أنه يشمل الجهاد وما في حكمه من كل عمل يعود على الإسلام بالنصر وعلو الكلمة، ومثل ذلك إنما يكون غالباً من شأن الإمام، وبتعبير عصرنا من شأن الحكومة المركزية، حتى لو قصرنا مدلول سبيل الله على الجهاد فإنه في عصرنا ليس من شأن الأفراد ولا الإدارات المحلية، بل هو من شئون الدولة العليا، ومن هنا يتحتم أن يكون للحكومة المركزية مورد تنفق منه على هذه الأمور التي تقرضها مصلحة الإسلام ومنفعة المسلمين، فإن كان لديها من الموارد ما يغنيها عن الزكاة، فبها ونعمت، وإلا، فللإمام أن يطلب من زكوات الأقاليم ما يسد تلك الثغرات، ومن هنا ذكر القرطبي قولا لبعض العلماء في هذه المسألة وهو: أن سهم الفقراء والمساكين يقسم في موضع المال، أما سائر السهام فتنقل باجتهاد الإمام، وهذا من الأمور الاجتهادية التي يجب أن يؤخذ فيها برأي أهل الشورى، كما كان بفعل الخلفاء الراشدون، ولذا لا تخضع لتحديد ثابت، ولا يعتبر أخذها أمراً لازماً مطرداً في كل عام، وهذا يفسر لنا ما جاء عن عمر بن عبد العزيز: أنه كتب إلى عماله أن ضعوا شطر الصدقة، قال أبو عبيد: أي في مواضعها، وابعثوا إلي بشطرها، ثم كتب في العام المقبل: أن ضعوها كلها: يعني في مواضعها، وليس في هذا اختلاف ولا تناقض، وإنما فعل ذلك

حسب المصلحة والحاجة، ولهذا قال ابن تيمية: وتحديد المنع من نقل الزكاة بمسافة القصر ليس عليه دليل شرعي، ويجوز نقل الزكاة وما في حكمها لمصلحة شرعية، ثالثاً: أن مما اشتهر حتى صار يقيناً أن النبي ﷺ كان يستدعي الصدقات من الأعراب إلى المدينة ويصرفها في فقراء المهاجرين والأنصار، وأخرج النسائي من حديث عبد الله بن هلال الثقفي قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: كدت أن أقتل بعدل عناق أو شاة من الصدقة فقال ﷺ (لو لا أنها تعطي فقراء المهاجرين ما أخذتها) ومثل ذلك حديث النبي ﷺ حين قال لقبيصة بن المخارق في الحمالة (أقم حتى تأتينا الصدقة فإما أن نعينك عليها وأما أن نحملها عنك) فرأى إعطاءه إياها من صدقات الحجاز، وهو من أهل نجد، ورأى حملها من أهل نجد إلى أهل الحجاز، وكذلك حديث عدي بن حاتم حين حمل صدقات قومه بعد النبي ﷺ إلى أبي بكر في أيام الردة الأموال، ومثله حديث عمر حين قال لابن ذباب وقد بعثه في عام الرمادة بعد المجاعة، أعقل عليهم عقالين "العقال صدقة العام" فاقسم فيهم أحدهما وائتني بالآخر، وكذلك حديث معاذ حين قال لأهل اليمن: ائتوني بخميس أو لبيس آخذه منكم مكان الصدقة فإنه أهون عليكم وانفع للمهاجرين بالمدينة، قال أبو عبيد: وليس لهذه الأشياء محمل إلا تكون فضلا عن حاجتهم، وبعد استغنائهم عنها، كالذي ذكرناه عن عمر ومعاذ، وأقول: ليس بلازم أن يستغنوا عنها استغناء مطلقاً، فالاستغناء مراتب بعضها دون بعض.

والحاجات أيضاً تختلف، وللإمام النظر فيمن تشتد حاجته، وتجب المبادرة بمعونته، ومن تقبل حاله التأخر والصبر إلى حين، كما أن هناك من المصالح العاجلة، والنوازل الطارئة ما لا يحتمل التسويف

، على أنه ينبغي أن يكون المنقول جزءاً من الزكاة لا كلها ، ونقل الكل لا يجوز إلا عند الاستغناء المطلق عنها ، كما في خير عمر ومعاذ ، ومما يجب التنبيه عليه : أن الشافعية ، وهم أكثر المذاهب الأربعة تشددا في جواز النقل يقصرون هذا التشدد على صاحب المال إن فرق بنفسه ، أما الإمام والساعي على الصدقات فلها جواز النقل على الصحيح ، قال صاحب المهذب من الشافعية : إن كان الإمام أذن للساعي في تفريقها فرقها ، وإن لم يأذن له حملها إلى الإمام ، وقال النووي في شرحه : واعلم أن عبارة المصنف المذكورة تقتضي الجزم بجواز نقل الزكاة للإمام والساعي ، وأن الخلاف المشهور في نقل الزكاة إنما هو في نقل رب المال خاصة ، ورجح هذا الرافعي قال : وهذا الذي رجحه هو الراجح الذي تقتضيه الأحاديث ، وإذا كان للإمام أن يجتهد في نقل الزكاة من بلد إلى غيره لمصلحة إسلامية معتبرة ، فإن للفرد المسلم الذي وجبت عليه الزكاة أن ينقلها أيضاً لحاجة أو لمصلحة معتبرة أيضاً ، إذا كان هو الذي يتولى إخراجها بنفسه كما هو حاصل الآن ، وذلك مثل الاعتبارات التي ذكرها الحنفية في جواز النقل ، كأن تنقل إلى أقارب محتاجين ، أو إلى من هو أشد حاجة وأكثر فاقة ، أو إلى من أنفع للمسلمين وأولى بالمعونة ، أو إلى مشروع إسلامي في بلد آخر ، يترتب عليه خير كبير للمسلمين ، قد لا يوجد مثله في البلد الذي يكون فيه المال ، أو نحو ذلك من الحكم والمصالح التي يطمئن إليها قلب المسلم الحريص على دينه ، ومرضاة ربه (١) .

(١)فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي من ص/٨١٠ إلى ص/٨٢٠ .

دروس من التضحية المباركة الخالدة

ومعناها عند المسلمين

بقلم : الدكتور محمد أجمل القاسمي
(H-1, Anand Niketan, N.Delhi-110021)

عاش المسلمون في كل بقعة من بقاع الأرض في استقبال عيد التضحية التي أشرقت عليهم بنسمات الذكرى الخالدة للتضحية الأولى على سطح هذه الأرض حيث أقبل الخليل إبراهيم عليه السلام على ذبح ابنه الوحيد سيدنا إسماعيل عليه السلام ، خضوعاً لأمر ربه ، وتراهم يستعدون كل الاستعداد للاحتفال بهذا العيد "عيد الأضحى" على وجه الكمال ، فيعدّون كل نوع من أنواع اللباس الغالية والفاخرة ، بينما يأخذ حجاج بيت الله يجتمعون في رحاب الله المقدس على اختلاف البلاد لأداء فريضة الله سبحانه وتعالى ، ويلبّون بصوت واحد تلبية الله ليعلنوا تلك الوحدة السامية والأخوة اللازمة التي ينادي بها هذا الدين الحنيف .

ولكن من المؤسف وفي الوقت نفسه ، لا يدرك ولا يشعر المسلمون ماذا يعني هذا العيد المبارك ولا يتفكرون لماذا يحتفلون به وما هو الغرض لفرضه ؟ لأنه لم يحدث حدث في التاريخ ولم تقصّ قصة في القرآن الكريم إلا لتكون عبرة لأولي العقول المفكرة : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الْأَلْبَاب ﴾ (الآية) .

وليس من صفات المؤمن أن يجعل مثل هذه الأعياد فرصة لمجرد ابتهاجه وفرحه ولهوه ، بل يتخذها فرصة للتفكير والبحث في الماضي ويلقي نظرته فاحصة إلى التاريخ المنصرف لكي يجعل منه عبرة تنير

مستقبله وقدوة تهديه إلى واجبه ، وهذا هو غرض كل الذكريات والأعياد ، وإن ذكرى هذا العيد السعيد واضحة للغاية ، ومعانيها هادفة للنهاية ، تعطي المسلم الواعي عبرة قيمة وقدوة بليغة في ضرورة خضوعه لأمر ربه تعالى ، من غير تردد أو تأخير .

فالعبرة من ذكرى هذا العيد المبارك أن الخليل إبراهيم عليه السلام بعد أن ابتلاه الله بمزيد من المحن والظروف الشديدة جاءها أمره تعالى بوضوح بذبح ابنه الوحيد إسماعيل عليه السلام الذي رزقه الله بعد ابتهال كبير ، وماذا فعل الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إزاء هذه المحنة الشديدة هل تأخر بعد أن عرف أنه من أمر الله في تنفيذه ؟ كلا ، بل سارع لأدائه ، فهل هناك تضحية أعظم من التضحية بذبح الابن ؟ والذي كان أحب الناس إلى نفسه ، فقال مخاطباً لابنه وكما يحكيه الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ يَا بُنَيَّ ! إِنِّيْ أَرَى فِيْ الْمَنَامِ * أَنِّيْ أَذْبَحُكَ * فَانْظُرْ * مَاذَا تَرَى ﴾ ، قابل الابن الغيور دعوة والده إلى ذبحه وما امتنع عنها وما رفض ، بل تقدم هو الآخر لإخضاع نفسه لتنفيذ أمر الخالق مع والده عليه السلام ، فقال لوالده رداً عليه : ﴿ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ * سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴾ ، وما أعظم تضحية هذا الوالد و الولد وما أصمدهما أمام هذه المحنة العظيمة و الورطة الشديدة ! نعم ؛ وهو إيمانهما بقدرة الله تعالى لأنهما كانا يدركان أن أرواحهما وأجسادهما والدماء الجارية فيها كلها من عند الله الواحد ، وأن الله هو الذي أعطاها لهما وهو الذي يسألها فيجب إعادتها إليه حين يسأل بدون تردد وتأخر .

فعرف الله أن عبده إبراهيم الخليل عليه السلام قد خضع لأمره وتقدم لتنفيذه وأنه عبد حليم وشكور فناداه قائلاً : ﴿ يَا إِبْرَاهِيْمُ ! قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِيْ الْمُحْسِنِيْنَ ﴾ .

قد نجح إبراهيم الخليل عليه السلام في ابتلاء ربه فذبح بدل ابنه كبشاً من الجنة ، فكانت هذه التضحية رمزاً للأولين والآخرين وقدوة بليغة للفدائيين في سبيل الله تعالى ، السبيل الذي هو مليء بالعوائق والحواجز الهائلة دون مواصلة عملياتهم والوصول إلى دربهم .

إن الإسلام لم يشرع هذا العيد إلا لما فيه من معان مثالية سامية تعود على الأمة الإسلامية جماعةً وفرداً بالخيرات والمنافع الجزيلة ، وهذا ما لا يرتاب فيه مرتاب ولكن هناك ما يؤسف أشد الأسف وهو أن كثيراً من المسلمين لم يفطنوا إلى تلك المعاني التي قصدها الإسلام وأراد منهم أن يدركوا كنهها ويعلموا مغازيها وحكمها ويعملوا على هدفها وغايتها ، فيكرعوا علاً ونهلاً من خيراتها ، ويتمتعوا بنعيمها ، ويقطفوا ثمارها ، بل ويؤثروا أكثر ، ذاك أن غالب المسلمين المعاصرين اليوم لم يفهموا من معاني العيد سوى الانطلاق والحرية في المأكل والمشرب ، والتزين بالألبسة الظاهرية ، ففي هذه المفاهيم المادية التي جعلت عن معنى العيد شأناً جثمانياً محضاً ، وهيكلاً خلوا من كل روح وحيوية ، نسى الناس أو تناسوا المعاني الحقيقية التي قصدها الشارع في تشريعه هذين اليومين حين اتخذهما عيدين للمسلمين ، عيد الفطر وعيد الأضحى ، تلك المعاني السامية التي ترجع في حقيقتها إلى عوامل التقويم الخلقي والتركيز الجماعي في بناء الأمة ونهضتها ، والسير بها نحو غايات الكمال التي يوحيه استحضار تلك المعاني وانفعال النفوس بمقتضياتها ومعرفة آثارها .

وهذا هو الانحراف المعنوي الذي امتد فيما بين المسلمين إلى كثير من التشريعات حتى تجردت عن روحها وحقيقة معانيها ، فوقف المسلمون حيالها عند الصورة والمذهب دون الحقائق واللباب ، فما صدر منهم عنها فبحكم الألف والعادة لا عن فهم وإرادة ، وبحكم

التوارث والتقليد لا عن رأي وروية ، فأصبحت الشريعة الإسلامية عندهم جوفاء لم يكن لها في الخلق تقويم ، ولا في النفس تهذيب ، ولا في الإعداد للكفاح باعث ولا في بث روح التعاون فيما بينهم عن أثر فلا عجب إذا نرى كثيراً من المصلين لم تمنعهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ، وكثيراً من المنفقين لم يعطهم إنفاقهم سجية الجود والكرم ، فإن الانحراف عن لب الشريعة الإسلامية والغفلة عن روحها ومعناها هو الذي بين المسلمين وبين العزة والكرامة ، والفلاح والنجاح والقوة والسلطان وإلى ما ذلك من الأوصاف التي ربطها الله بهذه الشرائع وتلك التكاليف ، فأصبحنا لا نرى في واقعهم مع ما نراه من صلاتهم وصيامهم وأدائهم لصور العبادات إلا عكس تلك الأوصاف النبيلة وأضدادها من الذل والخور والضعف والوهن والتخلف عن ركب الحياة الكريمة والاستخذاء في المجال الأممي والدولي وغير ذلك .

فاتخاذ العيد ليس هو من خصوصيات الإسلام وحده ، وإنما هو من شأن فطري عرفه الناس منذ عرفوا الاجتماع ، فما من أمة منذ العصور الغابرة ، متحضرة ، متمدينة أو غير متمدينة إلا كان لها عيد أو أعياد بمقتضى السنة الفطرية ، تتزين فيها وتفرح وتلعب وتخفف من عبء الحياة بما يروق ويناسب تصورها وهواها .

والإسلام في جميع أحكامه وتشريعاته لا يتعارض مع الفطرة ولا يكلف الإنسان أن يتخلى عن سجيته وطبيعته أو يكرهه على غير فطرته ، ولكنه بأحكامه وتشريعاته ينظم الفطرة ويمشي بها على سنن الاعتدال في جميع الأطوار وحياة الإنسان حتى لا يكون هناك إفراط ولا تفريط ، وبذلك تكمل له السعادة الحقيقية ، وما أحسن ما قيل بهذا الصدد "خير الأمور أوساطها" .

هكذا كان شأن الإسلام في جميع شرائعه وأحكامه ، وكذلك

كان شأنه في مشروعية العيد ، كما ونعمة البدء بإنزال القرآن ، وعلى مبدأ تلك النعمة الكبرى في نعمة الإسلام ، فما أجدر يوم الأضحى وهو يوم الإكمال للذكريات الماضية والتشريعات الحاضرة الدائمة وما أحرى به أن يكون عيداً بل عيداً فوق الأعياد .

لأنه ما يتبادر إلى الذهن من الذكريات الإسلامية الجميلة التي لها ارتباط وعلاقة ميمونة بأس الموضوع فيما يتعلق بعيد الأضحى هو ما تلقاه المسلمون الأولون من الرعيل الأول كدرس لعزهم ومجدهم ، وذلك ما حدث في السنة التاسعة من الهجرة من ذكرى التبليغ الإلهي الذي قام به علي بن أبي طالب نائباً عن رسول الله ﷺ في أيام الحج ، فبلغ ذلك العرب على اختلاف مللهم ونحلهم ، وأُعلنت كلمة الإسلام النهائية بمكة وبزيارة البيت الحرام : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ * أَنَّ اللهَ بَرِيْءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَرَسُوْلُه ﴾ (التوبة/٣) .

هذا ما أعلن به علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وبهذا الإعلان استقرت كلمة التوحيد واستتب سلطان الإعلام في مكة وما حواليها كما ذل سلطان الشرك والطغيان اللاديني ، فأقبلت الوفود من جميع أنحاء الجزيرة على رسول الله ﷺ تسعى إلى الإيمان بالله ، هذه هي ذكريات السنة التاسعة من الهجرة ، وهي ذكريات ممتعة مجيدة لها مفعولها القوي في انتشار الإسلام مما أثلج أفئدة أولئك المسلمين الأوائل من أصحاب رسول ﷺ ، ثم جاءت السنة التي بعدها وهي السنة العاشرة حيث حج رسول الله ﷺ فلحتوت ذكراها من الأمور الخطيرة في استكمال البناء الإسلامي من حيث التشريع ومن حيث النفوذ والسلطان ، فقد يئس المشركون من مواصلة السير في طريق العناد والبغي والمقاومة فلا يخشى بأسهم ولا يقام لهم اعتبار ، وأكمل

الله دينه على المؤمنين وأتم نعمته الكبرى ورضي لهم الإسلام ديناً، حيث قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ دِيْنِكُمْ * فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِيْ ﴾ (المائدة/٣)، كما و قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ * وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ * وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً ﴾ (المائدة/٣).

هذه هي الذكريات المجيدة تطالعنا كلما وافانا عيد الأضحى بفجره وأشرقت علينا شمسه، وأظلنا بظلاله الوارف، ذكريات تثير في النفس بواعث العظمة والمجد وتملؤها قوةً وإيماناً.

فخليق بنا اليوم أن نذكرها دائماً ونشحن بها شعورنا حتى ننطلق إلى الأمام وإلى إتمام الجهاد والكفاح للمحافظة على كياننا في المجال الدولي وعلى تصفية الحساب النهائي مع المستعمرين المستعبدين وأذنابهم من الصهاينة وغير الصهاينة إذ لا يزالون يدسون علينا الدسائس لتفريق الوحدة الإسلامية، لا سمح الله بذلك: ﴿يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُطْفِئُوْا نُوْرَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ * وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُوْرِهِ * وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴾ (التوبة/٣٢).

وهناك علاوة على هذه الذكريات المجيدة، ذكريات أخرى من خصوصيات عيد الأضحى تقترن به دوماً كلما أشرقت شمسه على وجه المعمورة في كل سنة، وهي وإن تكن في حد ذاتها من الشعائر التعبدية ولكن جاز اعتبارها من مظاهر الأفراح القلبية كالحج، والطواف بالبيت الحرام والوقوف بعرفات، وتقديم الذبائح شكراً في ظل التعارف والتشاور والتكتل على خير المسلمين ومصالحهم، وما هو عام يقوم به المسلمون في أماكنهم على اختلاف أجناسهم مثل التكبير، فيملأون الأرجاء به من فجر يوم عرفة إلى رابع يوم العيد لما فيه من إعلان المسلم على عقيدته وإقراره واعترافه بأنه تعالى أكبر من

كل كبير وأعظم من كل عظيم.

وناهيك بالصلاة الجامعة التي تسعى أيضاً صلاة العيد فيجتمع أهل الحي أو أهل البلد الواحد ويفتتحون بها يومهم على ذكر الله والوقوف بين يديه ومناجاته واستشعار العظمة لله تعالى، جاعلين صلاتهم ركيزة لأفراحهم لئلا يطيح بهم الفرح إلى ما لا تحمد عقباه ولا يرضاه الله ورسوله.

ثم ها هي ذكرى الفداء إذ يقدم المؤمن ذبيحته بعد صلاة العيد فيذبح باسم الله ويعطي للفقراء والمساكين باسم الله، تذكاراً لكبش الفداء الذي قدمه جبريل الأمين لإبراهيم الخليل عن ولده إسماعيل لأنه صمم على ذبحه امتثالاً لأمر ربه فقبله الله تبارك وتعالى.

ومن هنا كانت نفحات هذا الفداء تدفع الجيش الإسلامي وعلى رأسه سيدنا محمد رسول الله ﷺ وهو على ناقته القصواء ينساب إلى مكة آخر معقل للمشركين ففتحها وكسر شوكتهم وانتشر الإسلام بذلك.

ثم هذا الإسلام بعد أن بنى عيدي المسلمين على معاني المجد والسمو وقوة السلطان ما فاته أن ينظر إلى الناحية الإنسانية، فقد وسّع له في يوم عيده أن يتمتع باقتناء الملابس الجديدة والمآكل الطيبة وأن يأخذ قسطه من الراحة واللهو البريئ بحيث لا يخدش عرضاً ولا يقتحم كرامة ولا يمس حرمة نزولاً عند مقتضيات الفطرة البشرية في ترويض البدن والترويح عن النفس.

فأين نحن من هذه التضحية وما هو الآن موقف هذه الأمة الإسلامية هل هي في الحقيقة مستعدة للتضحية وخاصة في وقت تمر فيه بأخطر مرحلة من مراحل تاريخها، تُغمط حقوقها وتنتهك حرماتها وتدنس مقدساتها وتغتصب أراضيها؟ إلى متى تبقى هذه الأمة

مكتوفة الأيدي وحتى متى تعيش ذليلة النفس ، ولماذا لا تلقي نظرتها الفاحصة إلى تاريخها فستجد مزيداً من الأمثال لمثل هذه التضحيات بالأموال والأنفس في سبيل نشر رسالة الحق على وجه هذه الأرض ولماذا لا يسأل الناس هذا التاريخ عن تلك الأسرار التي كانت وراء انتشار هذه الرسالة إلى كل شبر من أشبار هذه الأرض فسيقولون صراحة : إنها لم تنتشر ولم تصل إلى بقاع العالم إلا بدماء المسلمين الأوفياء وأرواحهم التي ضحوا بها في سبيلها و واجهوا الاضطهادات التي تحملوها من أجلها ، ضحى هؤلآء الأبرار بسعاداتهم فكانوا يحملون هذه الرسالة من أقصى العالم إلى أقصاه ، ولم يهمهم الجوع أو العطش أو البرد أو الحرارة لا شئ من ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه المحن والظروف غير دائمة وأنها أصغر بالنسبة لجنات ونعيم الآخرة التي وعدها الله لهم ، فكانت عاقبة كل هذه التضحيات فوزاً ونجاحاً مبيناً حتى صارت هذه الدنيا في أواخر أيامهم تحت أقدامهم ، فتركوا لهذه الأمة حياة سعيدة وتاريخاً مجيداً .

ويا أمة هؤلآء الأبرار أين أنت منهم وما هو وضعك الحالي ؟ ولماذا أراك وأنت ذليلة النفس ، ولماذا أراك وأنت فاقدة الحرية والعزة ، و لماذا أراك أنت مصابة بالمآسي و المحن ، و لماذا أراك و أنت ضعيفة القوة والصمود ؟

ويا أمة خالد بن الوليد أين ثالث حرميك الذي انتصره عمر ابن الخطاب ﷺ وأين تلك الأراضي التي فتحها أجدادك الأبرار ألا ترين أنها كلها قد استولى عليها اليهود مرة أخرى ، ويا أمة أبي بكر الصديق ﷺ الذي ضحى بكل ما عنده .

إلى متى تبقى على هذه الحالة الأليمة ، فإذا ما بحثنا عن أسرار هذا الواقع فسوف يرجع السبب منها إلى ابتعادنا عن نظام حياتنا ،

نظام حياة الإسلام واتجاهنا إلى الثقافة والتقاليد والعادات الغربية ، فلنبادر إلى الطريق الذي نهجه نبينا الأكرم محمد ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم وتركنا ذلك الواجب الملقى على عاتقنا والذي هو التضحية والفداء في سبيل الدعوة الإسلامية ونشر الرسالة الإلهية ، فلننصرف عن التشتت والتفرق والعداوة القائمة بيننا حتى نكون يداً واحدةً على تلك القوى العدوانية التي تكالبت علينا ، وحتى نكون قوة صامدة فيكون شعارنا الواحد هو "الإيمان" وسلاحنا هو التوكل على الله : ﴿ وَمَنْ يَّتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ * فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وحتى يعود إلينا ما فقدناه من العزة والشرف : ﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ * إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴾ ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ونعيش غالبين لا مغلوبين : ﴿ إِنْ يَّنْصُرْكُمُ اللهُ * فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ﴾ ، يا رجال هذه الأمة ! هذه هي الأسباب التي جعلتنا في هذه الحالة ودفعتنا إلى كل هذه المأساة الأليمة ، فحان الوقت لنبتعد منها لكي نتخلص مما نحن عليه ونعيد حرمتنا المفقودة ومقدساتنا المغتصبة ونعيش كما عاش أجدادنا في عزتهم ، فلا ينبغي أن نستمر على سوء حالتنا هذه ، لأنه لا ينتج لنا إلا خسارة وندامة بل يدفعنا إلى أخطر مما نحن عليه حالياً .

***

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

***

من أعلام التاريخ الإسلامي :

الحساني

محدث حوران في عصره

بقلم : د/محمد فتحي راشد الحريري

مقدمة :

لعل أعظم فائدة نقلها لنا ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في معجم البلدان غير الفوائد المعجمية و الجغرافية هي تخليده للأعلام من العلماء والمحدثين والفقهاء المنسوبين لتلك البلدان التي ترجم لها .

من هؤلاء : علامة حوران ومحدثها الشيخ أبو عبيد محمد بن حسان البُسري الحساني صاحب الكرامات و التصانيف ، المنسوب إلى (بُسر) بضم الباء الموحده وسكون ثانيه (السين المهملة) و تسمى اليوم بصر (بالصاد) ولربما دعيت أيضاً (بصر الحريري) فأضافوها لأحد أبنائها وهو الشيخ علي الحريري (رحمه الله) .

بُسْر :

بلدة من أعمال حوران ، تتبع اليوم إدارياً لأذرعات (درعا) جنوب دمشق ، تقع في هضبة يقال لها "اللجا" وتخصيصاً "الوعر" لصعوبة مسالكه ، شرق مدينة إزرع (بلدة ابن قيم الجوزية) ، التي أسماها ياقوت الحموي (زره) وقال بأن تسمية (زرع) بدون ألف هي من كلام العامة . و بسر بلدة العلماء والتاريخ فهي سابع أقضية حوران قديماً (لواء باشان / هيورانتس) إضافة لفيق وعجلون وبصرى و ...

وفيها قبر نبي الله اليسع (عليه السلام) وأقيم بجانبه مسجد هو من أجمل مساجد بلاد الشام ، وفيها قلعة لا تزال صامدة وقصور

رومانية وبيوت إسلامية ومساجد أثرية ، وفيها ساحة لا تزال حتى اليوم تحمل اسم عالمها ومحدثها الحساني رحمه الله واسمها "ساحة الحساني" ويلفظها العوام خطأً "حسانة" .

وإلى بسر ينتسب علماء كرام غير الحساني منهم (١) .

١- ابنه نجيب حدث عن أبيه و حدث عنه كثيرون .

٢- محمد بن منصور بن بطيش أبو بكر الغساني الحوراني البسري : سكن دمشق وحدث عن نجيب ، وكتب عنه أبو الحسين الرازي .

٣- الشيخ محمد بن سوار بن إسرائيل أبو المعالي المعروف باسم ابن إسرائيل الحريري (٦٠٣-٦٧٦هـ) وله شعر رائق .

٤- الشيخ علي الحريري ، شيخ ابن إسرائيل ، وإليه أو إلى ابن إسرائيل ينسب جميع سكان (بسر الحرير) وهم عشيرة منسوبة لآل البيت يقال لهم بنو الزمان ، منتشرون في جميع البلاد الشامية .

٥- قاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري الفقيه البسري الدمشقي ، انتدب للقضاء في مصر وذكره ابن كثير في وفيات سنة ٧٢٨ وغيرهم كثيرون ، ومن المعاصرين (٢) .

٦- الشيخ عبد الباقي الحريري ، نقيب الأشراف في مصر والشام ، له تصانيف مخطوطة اطلعت على بعضها ، مدفون في صيدا (رحمه الله ت حوالي ١٩٠٠م) .

٧- الشيخ محمد فرحان حسن الحريري (حفيد السابق) ت

(١) ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٢٠/١ ، كتابنا : الطرق الصوفية في حوارن والجزءين ١٤/١٣ من البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) البداية والنهاية/دار الكتب العلمية ١٤٧/١٤ .

١٩٤٦م صاحب كتاب أصقاع حوران فيما سمي بالدير أو الخان ، وأحد المجاهدين الذين أذاقوا فرنسا كؤوس المرارة ، وحكم بالإعدام مرتين بناء على مواقفه الجهادية ضد الانتداب الفرنسي بالسيف والقلم ، وفي المنتديات والمنابر والكتاتيب .

٨- الشيخ محمد الحمد العليان رحمه الله (ت حوالي ١٩٦٠م) ، والشيخ راشد الحريري مفتي الجولان والجيدور (٣) .

الشيخ الحساني

هو أبو عبيد أو أبو عبيد الله المحدث الزاهد ، له كلام في الطريقة الصوفية و كرامات ، واسمه محمد بن حسان البسري الحساني ، كذا أورد نسبه ياقوت الحموي (٤) وذكر من حدَّث عنهم (شيوخه) ، وهم :

- سعيد بن منصور الخراساني .
- عبد الغفار بن نجيح .
- آدم بن أبي اياس .
- أبو صفوان القاسم بن يزيد بن عوانة الكلابي .
- ابن نافع الأرسوفي .
- عمرو بن عبد الله بن صفوان ، والد أبي زرعة وغيرهم .

أما تلاميذه الذين حدثوا عنه ، فمنهم :

- ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان الدمشقي .
- محمد بن عثمان الأذرعي الحوراني .
- أبو بكر محمد بن عمار الأسدى .

(٣) هو سيدي الوالد يرحمه الله (ت/١٩٩٣م عن ثمانين حولاً .

(٤) معجم البلدان ٤٢٠/١ .

- أبو زرعة ، عبد الرحمن بن واصل الحلجب .
- ولداه نجيب وعبيد .

واستكمالاً للسلسلة العلمية وإفادة الباحثين ، نستطرد فنقول:

ولابنه نجيب تلاميذ حدثوا عنه أبرزهم :

- أبو بكر الهلالي .
- أبو العباس أحمد بن معز الصوري الجلودي (منسوب لقرية الصورة قرب بسر وهي لا تزال قائمة في محافظة أذرعات (حوران - درعا) .
- معاذ بن أحمد الصوري (ابن السابق) .
- أبو زرعة الحسيني .
- أبو بكر محمد بن منصور بن بطيش الغساني البسري : حدث بدمشق عن نجيب وكتب عنه أبو الحسين الرازي .
- أبو بكر بن معمر الطبراني (منسوب إلى طبرية) وهي من أعمال حوران قرب فيق ، وتقع اليوم تحت الاحتلال اليهودي الغاشم الذي اجتاح الجولان في ١٩٦٧م .

وقد حدث الشيخ نجيب بن أبي عبيد البسري عن أبيه بكتابين مشهورين منسوبين إليه وقد ذكره ابن ما كولا (المؤرخ أبو نصر علي ابن هبة الله صاحب الإكمال (ت ٤٧٥هـ) في كتاب نجيب .

نسب الحساني

يقول ابن القيسراني إن "البسري" منسوب إلى بيع البسر وهو التمر أو إلى بسر بن أرطاة (عمير بن عويمر القرشي العامري الشامي/ت ٨٦هـ) وهو مختلف في صحبته ، لكن المحدث أبو عبيد الحساني البسري منسوب إلى بلدة بسر حصراً ، وذكر الفيروز آبادي في معجمه (الزاهد أبو عبيد البسري) لكن نسبه إلى بسر ببغداد ولا

أعلم ببغداد بلدةً مسماة (بسر) والله أعلم ، وهو من فوات أبي سعد عبد الكريم السمعاني ، صاحب كتاب الأنساب فلم يترجم له هو ولا ابن الأثير الجزري ولا القلقشندي في كتابه (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) ، لكن على التحقيق فهو أي الحساني منسوب لأحد أجداده واسمه حسان ، وهو قرشي ، فهو المحدث الورع الشيخ الصوفي الزاهد محمد بن حسان الحساني القرشي البسري الحوراني ، كنيته أبو عبيد أو عبيد الله .

عصر الحساني (٥)

عاش الشيخ المحدث الحساني في القرن الهجري (التاسع الميلادي) ولعل ولادته قبل سنة ٢٠٠هـ بقليل ، أما وفاته فقد ذكرها (اسماعيل باشا) في كتابه (هدية العارفين) سنة ٢٦٩هـ ، بينما ذكرها حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله صاحب كشف الظنون) سنة ٣٦٩هـ و بتحقيق سهل و مقارنة بسيطة نستطيع أن نقرر بأن وفاته إنما كانت في سنة ٢٦٩هـ بالنظر إلى حياة شيوخه ومريديه ، حسبما ذكرهم علماء الرجال في (سير أعلام النبلاء) ، (تقريب التهذيب) و (الطبقات) و (تذكرة الحفاظ) وغيرها .

إذاً لقد عاش الحساني في عصر الأئمة المجتهدين وهو الدور الثالث من أدوار التشريع الإسلامي ، الذي يمتاز بحركة نشاط وازدهار تدوينية وبحثية في مجالات علم الحديث والفقه والتفسير وسائر العلوم الشرعية والعلمية الأخرى .

أما سياسياً فعاش في عصر الخلافة العباسية ، وعاصر المترجم

(٥) هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا ١٨/٦ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢٤٤/٢ ، ٣١٢ كتابنا : فوات الأعلام ٥٣/٦ .

الأحداث التالية :

- وفاة الشافعي رحمه الله ٢٠٤هـ .
- وفاة أحمد بن حنبل رحمه الله ٢٤١هـ .
- وفاة البخاري رحمه الله ٢٥٦هـ .

كما عاصر شيخنا خلافة المأمون والمعتصم وثورة الزنج وحركة بابك الخرمي وظهور حركة الاعتزال ، وظهور مذهب أهل السنة والجماعة عليهم بفضل الله تعالى دون أن نعرف شيئاً عن تأثره أو تأثيره في هذه الأحداث ، فالعهد بعيد بيننا وبين حقبته التاريخية ، والمصادر تكاد تكون معدومة ما عدا الإشارات التاريخية وقرائن الأحداث والأحوال .

السيرة العلمية للحساني

ليس لدينا معلومات عن سيرته وتربيته ونشأته سوى أنه من بلدة "بسر" ولكن سيرته العلمية بادية الملامح من خلال النظر في مؤلفاته ، وسيرة شيوخه وتلاميذه ومريديه .

لا شك وأنه كان يحدث في بلدته وفي مسجدها القريب من ساحة الحساني التي لا تزال تحمل اسمه حتى اليوم ، ولا تزال ذكريات طريقة صوفية قديمة مندثرة منسوبة إليه ، هي الطريقة الحسانية ، يتردد ذكرها بين أهل الطرق الصوفية المعاصرة المنتشرة اليوم وأبرزها (الطريقة الحريرية – الطريقة الرفاعية – الطريقة الشاذلية) (٦) .

وهذه الطريقة المنسوبة للحساني هي التي عناها الحموي بقوله عنه (له كلام في الطريقة) وفي سبيل إلقاء بعض الضوء على سيرته العلمية نذكر نبذة عن بعض أشياخه :

(٦) ينظر كتابنا الطرق الصوفية في حوران .

آدم بن أبي اياس (٧)

إمام حافظ قدوة ، شيخ الشام ومحدث عسقلان ، هو أبو الحسن الخراساني المروزي ثم البغدادي ثم العسقلاني تتلمذ على شعبة بن الحجاج وابن أبي ذئب والمسعودي والليث وحماد بن سلمة وحدث عنه البخاري وأحمد بن الأزهر وهاشم بن مرشد الطبراني "ت ٢٧٨هـ" وأبو زرعة الدمشقي والحساني ، وقد توفي آدم سنة ٢٢٠هـ عن ٨٨ سنة .

سعيد بن منصور الخراساني (٨)

(ت ٢٢٧هـ عن ٨٠ سنة أو يزيد) ، الحافظ إمام شيخ الحرم أبو عثمان المروزي ويقل الطلقاني ثم البلخي ثم المكي المجاور ، صاحب كتاب السنن .

سمع من مالك بن انس والليث بن سعد وفليح بن سليمان وأبي معشر السندي وكان ثقة صادقاً ومن أوعية العلم ، وحدث عنه أحمد بن حنبل وأبو ثور وأبو محمد الدار مي وسلمة بن شعيب وأبو داود ومسلم واسماعيل بن سمويه وأبو زرعة الدمشقي والحساني وغيرهم .

وبناء على ذلك نستطيع أن نستنتج أن للحساني رحلة علمية خارج حدود بلاد الشام في مكة المكرمة ، فقد ذهب للحج وسمع من شيخ الحرم سعيد بن منصور الخراساني المجاور هناك ، ورحلة للقاء

(٧) ترجمته في طبقات ابن سعد ٤٩٠/٧ وتذكرة الحفاظ ٤٠٩/١ وتاريخ بغداد ٢٧/٧ وصفة الصفوة ٣٠٨/٤ والأنساب ٤٤٩/٨ وينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٥/١٠ .

(٨) ترجمته في الطبقات لابن سعد ٥٠٢/٥ وتذكرة الحفاظ ٤١٦/٢ وشذرات الذهب ٦٢/٢ وتهذيب التهذيب ٨٩/٤ وتذهيب التهذيب ٢٩٢ وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٨٦/١٠ .

الحافظ الخراساني آدم بن أبي اياس ، إما في بغداد وإما في عسقلان وهو الأرجح لقرب عسقلان من حوران بلد صاحبنا ، ورحلة للجزيرة (شمال سوريا) ، ولنا أن نستنتج مكانة الرجل العلمية من خلال أقرانه الذين شاركوه في طلب العلم عند الخراساني والعسقلاني أمثال البخاري ومسلم والدار مي وأحمد بن حنبل وأبي ثور وأبي زرعة الدمشقي وأبي داود السجستاني وابن شعيب وابن سمويه وابن الحجاج وغيرهم (رحمهم الله جميعا) .

ومن تلاميذ الشيخ :

ولده نجيب صاحب السيرة العطرة ، محدث الشام ، وكذلك الإمام الحافظ الثقة الرحال ، أبو اسحق (إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان الأموي الدمشقي) سليل الخلافة الأموية ، وهو الذي سمع من موسى بن عامر المري ومن الحساني ومن العباس بن الوليد البيروتي وغيرهم فأكثر وجمع وألف ، وقد حدث عنه كثيرون أبرزهم أبو سليمان بن زبر وأبو هاشم المؤدب وحميد بن الحسن الوراق وأبو بكر المقرئ وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي (توفي في رجب ٣٦٩هـ وقد قارب التسعين رحمه الله) . وهذا أيضاً يضاف إلى رصيده العلمي إذ كان يحج الناس إليه لطلب العلم .

ومن المعلوم بالضرورة أن الناس لا ترحل إلى المحدث لتطلب العلم على يديه إلا إذا تحققت فيه عدة شروط أبرزها :

- شهرة مؤلفاته بين المحدثين .
- تزكية شيوخه له بالنزاهة والتقوى والعدالة .
- إقامته في حاضرة علمية .
- أن يكون صاحب إسناد ورواية .

وهذا الشروط الأربعة توافرت في شيخنا الحساني البسري رحمه الله .

مؤلفاته

ذكر له صاحب الهداية كتابين اثنين هما :

١. قوام الإسلام .
٢. كتاب الطبيب .

والكتابان في علم مصطلح الحديث ذكرهما حاجي خليفة واسماعيل باشا البغدادي في فهرسيهما (كشف الظنون) و (هدية العارفين) على التوالي .

وبذلك يمكن تلخيص سيرته العلمية (رحمه الله) بما يلي :

١. الرحلة إلى الحجاز بقصد الحج ولقاء علمائها والأخذ عنهم .
٢. الرحلة في طلب الحديث في طبرية وأذرعات والجزيرة (حران وآمد والرها) ، وعسقلان ودمشق وبغداد ، ولعلة قصد بلداناً أخري ، والله أعلم .
٣. تأليف كتابين في علم مصطلح الحديث (قوام الإسلام ، وكتاب الطبيب) ، ومصيرهما مجهول حتى اليوم .
٤. كان له حلقة علم كبيرة في بلده ، وفي الساحة المنسوبة إليه تحديداً .

جهاده وكراماته

ذكرابن القيسراني موقفاً لصاحبنا الشيخ المحدث الحساني البسري صاحب الكرامات بإسناده (أخبرنا أبو على الشافعي بمكة المكرمة ، قال أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم الهمذاني قال : سمعت محمد بن داؤد ، قال سمعت أبا بكر بن معمر قال : سمعت ابن أبي عبيد البسري (نجيب أو عبيد الله) يحدث عن أبيه ، أنه غزا سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر (حصانه) الذي كان تحته ، فقال أبو عبيد : يا رب أعرنيه حتى نرجع إلى بسر (قريته) ، فإذا المهر

قائم ، فلما غزونا ورجعنا إلى بسر قال أبو عبيد لابنه : يا بني خذ السرج عن المهر قال فقلت له : يا أبه هو عرق فإن أخذنا عنه السرج داخله الريح ؟ فقال : يا بني هو عارية ، فلما أخذت عنه السرج وقع فمات (٩) .

وهناك كثيرون ممن لا يروق لهم حديث الكرامات ، ونعذرهم من باب أن من جهل شيئاً عاداه ، ونذكرهم بالقاعدة الشرعية لدى أهل السنة والجماعة وهي (ما كان كرامة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي) فالكرامة كالمعجزة إلا أنها لا تقترن بالتحدي ولا النبوة ، ولم ينكرها إلا المعتزلة (القدماء والجدد) والظاهريون .

وقصة ابن القيسراني أمران اثنان يستحقان التنويه :

١. الأول ، جهاد الرجل فله مواقف جهادية إذاً في محاربة الأعداء ونشر الدعوة ، لكن لم نعرف أين ومع من !
٢. الثاني ، كرامة الرجل وصلاحه والله أعلم إذ لا نزكي على الله أحداً ، ولكن من ظاهر الحال نحكم بحسن المآل .

ثمة أمر ينبغي الإشارة إليه هو ان ساحة الحساني كانت تغص بأكثر من آلاف تلميذ لشيخنا الجليل ، يحجون إلى قلعته العلمية من كل حدب وصوب .

وختاماً نسأله تعالى أن يرحم علماءنا سلفاً وخلفاً ،وأن يحشرنا وإياهم تحت لواء سيد المرسلين ، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، وأن ينفعنا بعلومهم ويجعلنا من الأوفياء لهم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٩) الأنساب المتفقة لابن القيسراني ص/٣٢ مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد ، ط ١٤٢١/١هـ .

دراسات وأبحاث :

وضح النهج (١)

شرح قصيدة نهج البردة للأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر

(الحلقة الأولى)

بقلم : سعادة الدكتور الأستاذ غريب جمعة

تعتبر قصيدة "نهج البردة" من غرر المدائح النبوية التي نظمها أمير الشعراء أحمد شوقي وهو في غنى عن التعريف ، وحسبه أن يقول عنه أديب العروبة والإسلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعي : "شوقي هذا الاسم الذي كان في الأدب كالشمس من المشرق ، متى طلعت في موضع فقد طلعت في كل موضع ، ومتى ذكر في بلد من بلاد العالم العربي اتسع معنى اسمه فدل على مصر كلها ، كأنما قيل : النيل والهرم أو القاهرة ، مترادفات ، لا في موضع اللغة ولكن في جلال اللغة" (٢) .

ولندع أمير الشعراء يتحدث عن دوافعه لنظم تلك الفريدة العصماء حينما أهداها إلى خديوي مصر في ذلك الوقت عباس حلمي الثاني عام ١٣٥٨هـ (١٩١٠م) .

"المليك المعظم مولانا الحاج عباس حلمي الثاني" .

"مولاي"

رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشي بنور العلم الفرد المغفور له "البوصيري" صاحب القصيدة المشهورة بالبردة ، في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، فنظمت هذه الكلمة التي أسأل الله وأرجو من رسوله قبولها ، وجعلتها يا مولاي

(١) وضح الأمر – يضح وضوحاً : بان وظهر يقال وضح الصبح : إذا ظهر ، والوضح بياض الصبح .

(٢) وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، الجزء الثالث ص/٣٢٤ – الناشر – المكتبة التجارية ، القاهرة ، تاريخ الطبعة غير موجود .

لحجتك المبرورة (تذكارها – ١٣٢٧هـ) كلما تناقل الناس أخبارها ، وقد تفضل مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ سليم البشري فتكفل بشرحها للناس ، فدخلت البركة على أبياتها من كل مكان ، وحسن قبولها من المليك نهاية الإبداع والإحسان" ."عبدكم" (٣)

شوقي

ولقد كان من توفيق الله لكاتب هذه السطور أن يقع على شرح هذه القصيدة في مكتبة أحد أقاربه من كبار أساتذة اللغة العربية الذين تخرجوا في كلية دار العلوم عام ١٩٣٧م ، وقد كتب الأديب المعروف/محمد المولحي مقدمة حسنة لهذا الشرح ، كنا نود أن نكتبها بكاملها لولا مخافة الإطالة التي قد تبعث على الملل ولكنا نكتفي ببعض ما جاء فيها فنقول :

لقد بين فيها أن الشعر ضرب من ضروب القول يتسع لكل غرض ويتسع لكل مطلب والسابق فيه من يذهب به ويتشعب له القول فيه شعوباً ، وقد سبق لفحول الشعراء من المتقدمين أنهم لم يتركوا سبيلاً من المقاصد إلا سلكوه ولا باباً من أبواب المعاني إلا طرقوه .

وهو بهذا يرد على من زعم أنهم قصروا أن يحيطوا بمتسع الأغراض من مظاهر الحضارة وعجزوا عن الالمام بما يتدرج فيه نظام البشر من سمو المدارك وعلو المقاصد ، ويرد على من يزعم ضيق اللغة العربية وعجزها عن استيعاب مستحدثات المدنية فيقول :

"ولا يقال إن للغة العربية ضيقا لا يتسع لمجال القول في مستحدثات هذه الأزمان ، فإن اللغة العربية وسعت كل شيء في كل زمن ، وهذه كتبها المجفوة تشهد لمن يطلع عليها بسعة المادة دون كل لغة وإنما إهمال النظر فيها هو الذي دعا إلى هذا الوهم ، وحدا إلى ذلك الزعم وضرب لذلك الأمثلة التي لا يتسع المقام لذكرها ، ثم يبين أن أمير الشعراء قد وفق بحمد الله – في مدح رسول الله ﷺ حيث بلغ

(٣) لسنا معه – يرحمه الله – في كلمة عبدكم فالعبودية لله وحده تبارك وتعالى ، ولكنا كتبناها وفاء بأمانة النقل .

أوج الإجادة ووصل إلى أعلى طبقات القريض وهي : قول الحق وتقرير الصدق فتم له بذلك الإحسان المعني في قول الشاعر :

وإن أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال إذا أنشدته صدقا

والشعر إذا كان على هذا الضرب تشاغل به العلماء وتنافس فيه الحكماء ، وأنزله أهل التقى والدين وأصحاب الورع واليقين منزلته من الإجلال والإعظام ، فلا بدع إذن أن أنبرى لشرح هذه القصيدة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وهو من علمت سمو مكانته وعلو درجته ، أدبا وعلما ، ووقاراً وحلماً وفهما وإفادة وتقى وعبادة وورعا وزهادة وأولئك لهم الحسنى وزيادة .

ثم يقول : وإن قصيدة تصنع في مدح الرسول ﷺ وتوضع تذكاراً لحج المليك ويكون شيخ الإسلام شارحها وشاعر المليك قائلها :

من اللاتي أمد بهن طبع * وهذبهن فكر وانتقاد

لهي جديرة بأن تنحني لها الرءوس إعظاماً وإكباراً ، ويحني عليها أحناء الضلوع ضناً بها وإيثاراً وتستضيء بنورها البصائر وتعقد على نفاستها الخناصر ، وتشغف بها القلوب فتضمها في الشغاف ، وتنطوي الصدور على حفظها طي الغلاف ، ويتلوها العلماء والأدباء ، ويتهادونها بينهم ، أبدع ما في باب الإتحاف والألطاف م هـ" .

والآن أخي القاري وقد مضى على هذا الكنز مائة عام !! يسعد كاتب هذه السطور أن يبدأ رحلة استخراجه – مستعيناً بالله وحده – ليضعه بين يديك معززاً إياه بما جاء في شرح هذه الدرة في "الموسوعة الشوقية" (٤) فالإضافة إلى الرجوع إلى الأصل أي إلى قصيدة "البردة" يشرح إبراهيم الباجوري (٥) شيخ الأزهر المتوفى عام

(٤) الموسوعة الشوقية لأمير أحمد شوقي – جمع وترتيب وشرح إبراهيم الأبياري – المجلد الخامس – القوافي : من الميم إلى اليه ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ، دار الكتاب العربي – بيروت .

(٥) الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة "بالبردة" للإمام البوصيري ، شرح شيخ الإسلام الشيخ/إبراهيم الباجوري حققها وضبطها وعلق عليها : الشيخ عبد الرحمان حسن محمود ، الناشر مكتبة الآداب ، القاهرة .

١٢٧٧هـ ، مع ضبط هذا الكنز والتعليق عليه – على ضعف طاقته وقلة بضاعته – وهو جهداً المقل ، لعله بذلك يؤدي شيئاً يسيراً من الوفاء بحق خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ في هذا الوقت الذي نعق فيه الناعقون وتسفل المتسفلون محاولين النيل من مقامه الشريف ، ولسوف يدوس التاريخ سفلة اليوم ويلقى بهم في مزبلته كما فعل بسفلة الأمس من أمثال أبي جهل وأبي لهب – لعنهم الله ومن يسير على دربهم – ولسوف يظل ذلك السراج المنير ﷺ يضيء للبشرية كافة ليهديها إلى سبيلها الراشد وأمرها القاصد إلى يوم الدين .

ودعني أهمس في أذنك – أخي القاري – إن علينا أن نحاسب أنفسنا على ما قدمناه في حق هذا النبي الأعظم قبل أن نوجه اللوم إلى الآخرين ، عسى أن نكون من الصادقين في حب الله وحب رسوله ﷺ .

ولعل إيثار " البعث الإسلامي" الغراء بهذا الكنز من الوفاء بحقها أيضاً على قرائها وهي التي تقف على ثغور – لا ثغر – من ثغور الإسلام صابرة محتسبة – ولا نزكيها على الله – تؤدي رسالتها على بصيرة حتى تظل – بإذنه تعالى – علماً مرفوعاً وصوتاً للإسلام مسموعاً حسبها أن الله يسمع ويرى ، وهو جهد المقل أيضاً ، الذي يصور حاله ما قاله شاعر العروبة والإسلام الكبير الذي لم يوف حق الأستاذ/أحمد كرم يرحمه الله .

ولكني امرؤ لا شيء عندي
سوى قلم يذوب له احتراقا

وما تغني بنات الشعر شيئاً
إذا ما الشر بالأقوام حاقا

يقول شوقي – رحمه الله

١- ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

(١) الريم (بالهمزه ويخفف بقلب الهمزة ياء) : الظبي الخالص البياض والجمع آرام ، وفي لسان العرب وقلبوا فقالوا : آرام ، جر يا على القاعلة من أنه إذا وقعت الهمزة الساكنة إثر الهمزة المتحركة قلبت من

جنس حركتها ، القاع : الأرض السهلة المطمئنة التي لا حزونة فيها ، البان : جمع بانة ، ضرب من الشجر ، العلم : الجبل .

الأشهر الحرم أربعة : ثلاثة متتابعة هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد هو : رجب ، وكانت العرب لا تستعجل في القتال فإذا هي أوفت بهم أغمدوا سيوفهم ونهضوا إلى أسواقهم ، فتعاملوا فيها وتناشدوا الأشعار ومشى القرن إلى قرنه سالما كأن لم يكن بينه وبينه دم .

المعنى : إن المحبوبة السالحة في ذلك الموضع كأنها الظبي في حسنه ورشاقته ، قد قتلته صبابة بها وولهاً عليها وأسرفت عليه حتى إنها استحلت دمه في الشهور التي تحقق فيها الدماء ويحرم فيها القتال ، وفي البيت (السطر الثاني منه) طباق بين قوله (أحل) وقوله (الحرم) ولا يذهب عن القارئ ما في البيت من براعة الاستهلال .

٢- رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا
يا ساكن القاع أدرك ساكنً الأكم

(٢) **الجؤذر** : ولد البقرة الوحشية ، الأجم : جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الأسد ، يريد بالجؤذر تلك المحبوبة التي شبهها في البيت السابق بالريم تشبيهاً لها بالجؤذر في جمال عينيها واتساعها ، ويريد (بالأسد) نفسه لماله من شجاعته وإقدامه .

المعنى : إن المحبوبة رمته من عينيها النجلاوين بمثل ما يرمي عن القوس من السهام وقد وصل تلك الرمية "بالقضاء" تقريراً للعقيدة الصحيحة من أن كل واقع بقضاء الله وقدره ، وفي الشطر الثاني يستغيث للمقتول بالقاتل - لامنه - ويستنجد للأسد بالغزال وهو بديع .

٣- لما رنا حدثتني النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي

(٣) **رنا** : يرنو رُنُواً ورنْواً ، والرّنو : إدامة النظر مع سكون الطرف ، **يا ويح** : كلمة تقال لمن وقع في الشدة والمكروه يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه ، قال الأزهري : الفرق بين ويح وويل أن ويل تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لا يترحم عليه ، وويح تقال لمن وقع في بلية

يرحم ويدعى له بالتخلص منها .

المعنى : يقول إنه عندما سدد الجيب نظره بأنه قد ملك عليه لبه وإن سهم لحظه قد مضى إلى صميم قلبه ، وتطلب لجنبه - لأنه مثوى القلب - الشفقة والمرحمة مما أخذ فيه من الوجد وشاع فيه من الصبابة .

(٤) جحدتها ، وكتمت السهم في كبدي
جرح الأحبة عندي غير ذي ألم

(٤) **جحدتها** : الجحود الإنكار مع العلم .

المعنى : لم يتشك من تلك الرمية ، بل لم يعالج استلال السهم من كبده وزعم أنه لم ينله ألم من أثر ذلك السهم الذي انتظم كبده ، تنزيلاً للألم منزلة عدمه ما دامت مراميه عيون الأحبة ، قال الشاعر :

فما لجرح إذا أرضعاكم ألم

وقديماً كان ذلك شأن العشاق فيما ينزل بهم من آلام الوجد والهوى لا يطلبون أسباب السلامة منها بل تراهم يتطلبون زيادتها لأنها من لوازم الحب ولا خلاص لهم منها إلا بخروجهم منه .

روى أهل الأدب أنه مجنون بني عامر لما أدنفه (٦) حب ليلى انطلق به نفر من أهله إلى البيت الحرام ، وقالوا له لو تعلقت بأستار الكعبة فدعوت الله تعالى أن يبرأك من حبها كنت حقيقاً أن يستجاب دعاؤك ، فتشبث بستور الكعبة وقال : "اللهم زدني في ليلى حباً" !! فحبه من ذلك الحين جنونه وهام في بطون الأودية وسارب الوحش حتى وافته منيته : قال الشاعر :

ويا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

(٥) رزقت أسمح ما في الناس من خلق
إذا رزقت التماس العذر في الشتم

(٥) **الشيم** : جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة .

المعنى : يقول إن أنفس الأخلاق وأكرم الخلال أن يطبع الإنسان على التماس المعاذير للناس فيما تقع عليه نفوسهم مما يحسب من

(٦) أدنف المرض فلاناً اشتد عليه .

مساقط العيب ومواقع الضعف، والبيت بمثابة التمهيد للبيت الذي يليه كأنه توقع أن يلومه لائم على الحال التي صارت به إلى ما ذكر من تعرضه للقتل واستهدافه للسهام، فقدم بقوله: "رزقت أسمح ما في الناس" فضل الإمساك عن اتباع عثرات الناس وطلب عوراتهم، وفصل في البيت التالي عذره.

(٦) يا لائمي في هواه والهوى قدر
لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

(٦) **شفَّه**: هزله وأنحل جسمه.

المعنى: يقول: يا من يلومني في هذا الهوى ما كان لك أن تفعل، وهذا شيء قدره الله علي ووصله بقلبي، ولو أنه لحقك الهوى وأخذ فيك الوجد ونالك ما ينال أهله من السقم والوهن ما أسرعت إلى العذل واللوم، وقال صاحب البردة – يرحمه الله في هذا المعنى:

يا لائمي في الهوى العذري (٧) معذرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلم
(٧) لقد أنلتك أذناً غير واعية
ورب منتصت والقلب في صمم

(٧) **انتصت**: سكت سكوت مستمع، في الشطر الثاني طباق بين قوله "منتصت" وقوله في صمم، وقال صاحب البردة:

محضتني (٨) النصح لكن لست أسمعه
إن المحب عن العذال في صمم
(٨) يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبداً
أسهرت مضناك في حفظ الهوى فنم

---

(٧) أي الهوي المنسوب إلى بني عذرة (بضم العين) وهم قبيلة مشهورة باليمن يؤدي بهم العشق إلى الموت لصدحهم في الحب ورقة قلوبهم.

(٨) محضتني النصح: أي أخلصت لي النصح من الأغراض، وفي الحديث: حبك للشيء يعمي ويصم" أي يعميك عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها (رواه الإمام أحمد، والبخاري في التاريخ/وأبو داود عن أيوب والخرائطي في "اعتلال القلوب" عن أبي برزة).

(٨) **الناعس**: الوسنان الطرف: بالفتح، العين، المضنى الذي أثقله المرض، ومضناك أي الذي أضنيته بما لحق من الوله عليك.

المعنى: يخاطب معشوقه وقد أخذته عينه فبات لا يسهده وجد ولا يؤرقه شغل بهوى على حين لا يغشى الكرى مقلتي عاشقة ويدعو له بالسلامة من الهوى لئلا يناله ما ينال أهله من السهد والأرق، في الشطر الثاني طباق بين "أسهرت" و "فنم".

(٩) أفديك ألفاً ولا آلو الخيال فدىً
أغراك بالبخل من أغراه بالكرم

(٩) **آلو**: الألو هنا معناه المنع والتقصير أغراه بالشيء زينه له وحرضه عليه.

المعنى: جعل نفسه فدىً للمحبوب من المكاره، وقال: إنه لا يضن بهذا أيضاً على خياله على ما بينهما من التباين في الخلق والعادة، لضن الأول وطول تجنيه واحتجابه وكرم الخيال بكثرة تردده وطروقه، ولعل المغري لكل منهما – على ما سمعت – العشق فإنه من شأنه أن يبعث المعشوق على النفور والتمنع ولا يبرح ممسكاً على ظله وصورته في مخيلة العاشق لا يفلتها في يقظة أو منام، قال الشاعر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

وقال الشاعر:

ما سرت إلا وطيف منك يصحبني
سرىً أمامي وتأديباً على أثري
لو حط رحلي فوق النجم رافعه
ألفيت ثم خيالاً منك منتظري
(١٠) سرى فصادف جرحاً دامياً فأسا
ورب فضلٍ على العشاق للحلم

(١٠) **سرى**: السري المشي ليلاً، أسا الجرح يأسوه: داواه.

المعنى: يريد أن هجر المحبوب له وانقطاعه عنه قد أسال مهجته شوقاً إليه حنيناً له حتى إذا تطلع له في عالم الرؤيا سكن به فؤاده وابترد من تلك اللوعة كبده، وذلك من فضل الأحلام على العشاق فإنه إذا

فاتتهم رؤية المحبوب يقظة وافقهم طيفه مناماً ، وربما احتال المهجور على النوم يتوسل به إلى لقاء المحبوب والظفر بخياله .

قال الشاعر :

وأخرج من بين الجلوس لعلني
أحدث عنك النفس في السر خاليا
وإني لأستغشي وما بي نعسة
لعل خيالاً منك يلقى خياليا

(١١) من الموائس باناً بالربى وقناً
اللاعبات بروحي السافحات رمي

(١١) **الموائس** : جمع مائسة وهي المتبخترة ، **البان** : ضرب من الشجر واحدتها بانة ، يشبه القوام بأغصانها للدونتها ، **القنا** : جمع قناة وهي الرمح ، **السافحات** : سفح الدم : سفكه وأساله .

المعنى : شبه تثنيهن ولدونة أعطافهن بأغصان البان إذا مستها نفحة الصبا ، وأبلغ ما يكون ذلك إذا كانت على مرتفع من الأرض وشبهه بالقنا أيضاً لدقتها واهتزازها في أيدي الطاعنين .

(١٢) السافرات كأمثال البدور ضحىً
يغرن شمس الضحى بالحلي والعصم

(١٢) **السافرات** : يقال سفرت المرأة : كشفت وجهها ، **الحلي** : ما تتزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة ، **والجمع** : الحلى ، **والعصم** : جمع عصمة وهي القلائد ، كعنب وعنبة .

المعنى : يقول إنهن يقتلن بعيونهن المراض والمرض كثيراً ما يفضي إلى الموت ويكون سبباً فيه ، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل .

(١٣) القاتلات بأجفان بها سقم
وللمنية أسباب من السقم

(١٤) العاثرات بألعاب الرجال وماً
أُقلن من عثرات الدل في الرسم

(١٤) **العاثرات** : العثرة الزلة والسقطة "وأقاله من عثرته" أي أنهضه منها ، الدل في الصحاح قريب المعنى من الهدى ، وهما من

السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك ، الرسم : حسن المشي .

المعنى : شبه وقوع هواهن في كل قلب صادفنه بالعاثر الذي تزل به قدم في الطريق الحزن ، وجعل القلوب مجازاً لهن واعتراضها موطيء أقدامهن يخضن فيها ويسلكنها سلوك المتعثر فيقعن في القلب بعد القلب كما يقع العاثر في الحفرة بعد الحفرة من المعاني البديعة ، وفي الشطر الثاني جعل لهن من جمال المنظر وحسن المشية عثرات لعله سماها "عثرات" مشاكلة لما في صدر البيت أو أن شبه تثنيهن وتبخترهن في مشيتهن "بالعاثر" أيضاً إذا كان لهن ما له من الميل والاهتزاز أو أنه أراد التعثر الحقيقي ، إذ أنهن يتعثرن في ثيابهن لطولها وتثنيهن ، ويريد بقوله "وما أقلن" أن ذلك شيء لازم لهن ، وأن عثرات الدل مقصودة بالطبع لا إقالة منها بخلاف سائر العثرات ، وقوله "في الرسم" احتراس لطيف .

(١٥) المضرمات خدوداً أسفرت وجلت
عن فتنة تسلم الأكباد للضرم

(١٥) الضرم : اشتعال النار .

المعنى : يقول إن لهن خدوداً كالنار في حمرتها وتوهجها يفتتن بها عقل رائيها وتتحرق لها كبد عاشقها .

(١٦) الحاملات لواء الحسن مختلفاً
أشكاله وهو فرد غير منقسم

(١٦) **العلم** : اللواء ، وحمل لواء الحسن كناية عن نهاية البراعة فيه :

المعنى : يقول إنهن قد تنوعت ضروب جمالهن واختلفت فيهن أقسام الحسن ، والحسن في ذاته شيء واحد ، وقد رمين به جميعاً وقد أوضح هذا في البيت الذي بعده .

(١٧) من كل بيضاء أو سمراء زينتا
للعين والحسن في الآرام كالعصم

(١٧) **العصم** : جمع أعصم الذي فيه "العصمة" بالضم وهي بياض اليدين ، والعصماء من المعز البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو

أحمر ، وحرك الصاد اتباعاً لحركة العين قبلها .

المعنى : يبين في هذا البيت أن اختلافهن بالبياض والسمرة لا ينافي في أنهن جميعاً حسان ، ألا ترى أن الحسن في الآرام وهي خالصة البياض مثل الحسن في أخواتها التي نهض بياضها في سوادها وهي العصم ؟ وصح تثنية الضمير في البيت في قوله "زينتاً" لأن "أو" في البيت للتنويع .

(١٨) يُرعن الصبر السامي ومن عجب
إذا أشرن أسرن الليث بالعنم

(١٨) **يرعن** : يخفن ، العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بالبنان المخضوبة .

المعنى : يقول إنهن يخيفهن ويذعرهن نظرة المحب إليهن ويعجب لهذه الرقة وهذا الخور فيهن مع أنهن إذا أشرن إلى الليث وهو أشد الحيوانات وأقواها بأطراف البنان المخضوبة فقد أذللنه وأسرنه بحسنها ورقتها ، وفي البيت الجناس بين أشرن وأسرن .

(١٩) وضعت خدي وقسمت الفؤاد رُبىً
يرتعن في كنس منه وفي أكم

(١٩) وضعت خدي : وضع الخد هنا كناية عن الخضوع والاستسلام ، الكنس بضمتين جمع كناس وهو مستقر الظباء في الشجر ، الأكم جمع أكمة وهي الموضع أشد ارتفاعاً مما حوله .

المعنى : يقول : إنه أذعن لحبهن ووهب لهن فؤاده وجعله لهن مقيلاً وملعباً ، يريد تمكن حبهن من قلبه وتفرغه للاشتغال بهن دون كل شيء سواهن .

(يتبع)

*****

دراسات وأبحاث :

من البديعيات في القرآن الكريم

بقلم : الأستاذ محمد عارف جميل المباركفوري *

(١) قال الله تعالى : وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (البقرة/٢٠٥) .

في الآية بديعيتان :

✹ إن السعي حقيقة : المشي بالقدمين بسرعة ، ومعلوم أن السعي لا يكون إلا في الأرض ، فما فائدة التصريح به ؟

وأجيب بأنه أفاد العموم : بمعنى في أي مكان حل منها سعى للفساد ، ويدل لفظ : في الأرض ، على كثرة سعيه ونقلته في نواحي الأرض ، لأنه يلزم من عموم الأرض تكرار السعي وتقدم ما يشبهه في قوله : (لا تفسدوا في الأرض) (البقرة/١١) (١) .

✹ إن الإفساد عام يدخل تحته إهلاك الحرث والنسل فما فائدة إفراده بالذكر ؟

وأجيب من وجهين :

الأول : إنه تعالى ذكره أولاً على سبيل الإجمال ، وهو قوله (ليفسد فيها) ثم ذكره ثانياً على سبيل التفصيل فقال : (ويهلك الحرث والنسل) وهو شبيه بقوله : (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) ؛ وإنما

* نيابة الشارقة ص ب/١٢٠ ، الشارقة دولة الإمارات .

(١) أبو حيان ٢٣٩/٢ .

خصمها بالذكر لأنهما أعظم ما يحتاج إليه في عمارة الدنيا فكان إفسادهما غاية الإفساد ، ذكره الرازي وأبو حيان ، هذا إذا فسر الإفساد بالتخريب (٢) .

والوجه الثاني في تفسير الفساد : أنه كان بعد الإنصراف من حضرة النبي عليه السلام يشتغل بإدخال الشبه في قلوب المسلمين ، وباستخراج الحيل في تقوية الكفر ، وهذا المعنى يسمى فساداً ، قال تعالى حكاية عن قوم فرعون حيث قالوا له : **أَتَذَرُ مُوْسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوْا فِيْ الأَرْضِ** (الأعراف/١٢٧) أي يردوا قومك عن دينهم ، ويفسدوا عليهم شريعتهم ، وقال أيضاً : **إِنِّيْ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِيْنَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِيْ الأَرْضِ الْفَسَادَ** (غافر/٢٦) وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى : **وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوْا فِيْ الأَرْضِ** (البقرة/١١) ما يقرب من هذا الوجه ، وإنما سمي هذا المعنى فساداً في الأرض لأنه يوقع الإختلاف بين الناس ويفرق كلمتهم ويؤدي إلى أن يتبرأ بعضهم من بعض ، فتنقطع الأرحام وينسفك الدماء ، قال تعالى : **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوْا فِيْ الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوْا أَرْحَامَكُمْ** (محمد/٢٢) فأخبر أنهم إن تولوا عن دينه لم يحصلوا إلا على الفساد في الأرض ، وقطع الأرحام ، وذلك من حيث قلنا ، وهو كثير في القرآن .

واعلم أن حمل الفساد على هذا أولى من حمله على التخريب والنهب ، لأنه تعالى قال : (ويهلك الحرث والنسل) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه لا محالة ، ذكره الرازي (٣) .

الثاني : أن المراد بالإفساد إلقاء الشبهة فكما أن الدين الحق أمران :

(٣) الرازي ٢١٧/٥ ؛ أبو حيان ٢٢٩/٢ .

أولهما العلم ، وثانيهما العمل ، فكذا الدين الباطل أمران : أولهما الشبهات ، وثانيهما فعل المنكرات ، فههنا ذكر تعالى أولاً من ذلك الإنسان ، اشتغاله بالشبهات ، وهو المراد بقوله : (ليفسد فيها) ثم ذكر ثانياً إقدامه على المنكرات ، وهو المراد بقوله (ويهلك الحرث والنسل) ، ذكره الرازي رجحه (٤) .

(٢) قال الله تعالى : **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوْءٍ** (الآية البقرة/٢٢٨) .

فإن قلت : هلا قيل : "يتربصن ثلاثة قروء" كما قال : (تربص أربعة أشهر) وما فائدة التوكيد بـ(أنفسهن) ؟وأجيب من وجهين :

الأول : في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث ، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن ، وذلك لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأراد أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص ، ذكره الزمخشري والرازي وابن عاشور ، وأبو السعود والآلوسي والبيضاوي (٥) .

الثاني : أن قوله : (بأنفسهن) متعلق بـ(تربص) وظاهر الباء مع تربص أنها للسبب أي : من أجل أنفسهن ، ولا بد أن ذلك من ذكر الأنفس ، لأنه لو قيل في الكلام : يتربص بهن لم يجز ، لأنه فيه تعدية الفعل الرافع لضمير الاسم المتصل إلى الضمير المجرور نحو : هند تمر

(٤) الرازي ٣٤٦/٥ .

(٥) الزمخشري تفسير الآية ؛ والرازي ٤٣٤/٤ وأبو حيان تفسير الآية ؛ وأبو السعود ٢٢٦/١ ؛ والآلوسي ١٣٠/٢ ؛ والبيضاوي ٥١٣/١ ؛ وابن عاشور تفسير الآية .

بها، وهو غير جائز، ذكره أبو حيان (٦).

الثالث: يجوز هنا أن يكون زائدة للتوكيد، والمعنى: يتربصن أنفسهن، كما تقول: جاء زيد بنفسه، وجاء زيد بعينه أي: نفسه وعينه، ذكره أبو حيان، وابن عاشور، وحكى ابن عاشور عن صاحب <المغني> أنه رده من جهتين:

- من جهة اللفظ بأن حق توكيد الضمير المتصل أن يكون بعد ذكر الضمير المتفصل أو بفاصل آخر، إلا أن يقال: اكتفى بحرف الجر.
- ومن جهة المعنى بأن التوكيد لا داعي إليه إذ لا يذهب عقل السامع إلى أن المأمور غير المطلقات الذي هو المبتدأ، الذي تضمن الضمير خبره (٧).

وأجاب عن هذا الإشكال أبو حيان فقال: لا يقال: إن التوكيد هنا لا يجوز، لأنه من باب توكيد الضمير المرفوع المتصل، وهو النون التي هي ضمير الإناث في: (يتربصن، وهو يشترط فيه أن يؤكد بضمير منفصل، وكان يكون التركيب: يتربصن هن بأنفسهن، لأن هذا التوكيد، لما جر بالباء، خرج عن التبعية، وفقدت فيه العلة التي لأجلها امتنع أن يؤكد الضمير المرفوع المتصل، حتى يؤكد بمنفصل، إذا أريد التوكيد للنفس والعين، ونظير جواز هذا: أحسن بزيد وأجمل، التقدير: وأجمل به، فحذف وإن كان فاعلاً، هذا مذهب البصريين، ولأنه لما جر بالباء خرج في الصورة عن الفاعل، وصار كالفضلة، فجاز حذفه، هذا على أن الأخفش ذكر في المسائل جواز: قاموا

(٦) أبو حيان تفسير الآية.

(٧) ابن عاشور تفسير الآية.

أنفسهم، من غير توكيد، وفائدة التأكيد هنا: أنهن يباشرن التربص، وزوال احتمال أن غيرهن يباشر ذلك بهن، بل أنفسهن هن المأمورات بالتربص؛ إذ ذاك أدعى لوقوع الفعل منهن، فاحتيج إلى ذلك التأكيد لما في طباعهن من الطموح إلى الرجل والتزويج، فمتى أكد الكلام دل على شدة المطلوبة (٨).

(٣) قال الله تعالى: **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا** (البقرة/٢٣١).

فإن قلت: لا فرق بين أن يقول: (فأمسكوهن بمعروف) وبين قوله: (ولا تمسكوهن ضراراً)؛ لأن الأمر بشيء نهي عن ضده، فما الفائدة في هذا التكرار؟

وأجيب من وجهتين:

الأول: قوله: (ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا) هذا كالتوكيد لقوله تعالى: (فأمسكوهن بمعروف) نهاهم أن لا يكون الإمساك ضراراً، وحكمة هذا النهي أن الأمر في قوله: (فأمسكوهن بمعروف) يحصل بإمساكها مرة بمعروف، هذا مدلول الأمر، ولا يتناول سائر الأوقات وجاء النهي ليتناول سائر الأوقات ليعمها، ولينبه على ما كانوا يفعلونه من الرجعة، ثم الطلاق، ثم الرجعة، ثم الطلاق على سبيل الضرار، فنهى عن هذه الفعلة القبيحة بخصوصها، تعظيماً لهذا المرتكب الشيء الذي هو أعظم إيذاء للنساء، حتى تبقى عدتها في ذوات الأشهر تسعة أشهر، ذكره الرازي وأبو حيان، وأبو السعود، والألوسي (٩).

(٨) أبو حيان تفسير الآية.

(٩) الرازي ٤٥٢/٦؛ وأبو حيان تفسير الآية؛ أبو السعود ٢٣٠/١؛ والألوسي ١٤٤/٢.

القول الثاني : قال ابن عاشور : وقوله : (ولا تمسكوهن ضراراً) تصريح بمفهوم (فأمسكوهن بمعروف) إذ الضرار ضد المعروف ، وكأن وجه عطفه مع استفادته من الأمر بضده التشويه بذكر هذا الضد لأنه أكثر أضداد المعروف يقصده الأزواج المخالفون لحكم الإمساك بالمعروف ، مع ما فيه من التأكيد ، ونكتته تقرير المعنى المراد في الذهن بطريقتين غايتهما واحدة (١٠) .

ورد ابن عاشور القول الأول فقال : وقال الفخر : نكتة عطف النهي على الأمر بالضد في الآية هي أن الأمر لا يقتضي التكرار بخلاف النهي ، وهذه التفرقة بين الأمر والنهي غير مسلمة و فيها نزاع في علم الأصول ، ولكنه بناها على أن الفرق بين الأمر والنهي هو مقتضي اللغة ، على أن هذا العطف إن قلنا : إن المعروف في الإمساك حيثما تحقق انتفى الضرار ، وحيثما انتفي المعروف تحقق الضرار فيصير الضرار مساوياً لنقيض المعروف ، فلنا أن نجعل نكتة العطف حينئذٍ لتأكيد حكم الإمساك بالمعروف : بطريقي إثبات ونفي ، كأنه قيل : (ولا تمسكوهن إلا بالمعروف) ، كما في قول السموأل :

تسيل على حد الظُّباتِ نفوسنا
وليست على غير الظبات تسيل (١١) .

قال الله تعالى : **وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** (البقرة/٢٣٥)

٤ من البدهي هنا أن التعريض بالخطبة أعظم حالا من أن يميل

(١٠) ابن عاشور تفسير الآية .
(١١) ابن عاشور تفسير الآية .

قلبه إليها ولا يذكر شيئا ، فلما قدم جواز التعريض بالخطبة كان قوله بعد ذلك : (أو أكننتم في أنفسكم) جاريا مجرى إيضاح الواضحات ؟

وأجيب من وجوه :

الأول : ما ذكره الرازي فقال : ليس المراد ما ذكرتم بل المراد منه أنه أباح التعريض وحرم التصريح في الحال ، ثم قال : (أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ) والمراد أنه يعقد قلبه على أنه سيصرح بذلك في المستقبل ، فالآية الأولى إباحة للتعريض في الحال ، وتحريم للتصريح في الحال ، والآية الثانية إباحة لأن يعقد قلبه على أنه سيصرح بذلك بعد انقضاء زمان العدة ، ثم إنه تعالى ذكر الوجه الذي لأجله أباح ذلك ، فقال : **عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ** لأن شهوة النفس إذا حصلت في باب النكاح لا يكاد يخلو ذلك المشتهي من العزم والتمني ، فلما كان دفع هذا الخاطر كالشيء الشاق أسقط تعالى عنه هذا الحرج وأباح له ذلك ، وذكره أبو حيان أيضا (١٢) .

الثاني : قال ابن عاشور : فائدة عطف الإكنان على التعريض في نفي الجناح ، مع ظهور أن التعريض لا يكون إلاّ عن عزم في النفس ، فنفي الجناح عن عزم النفس المجرد ضروري من نفي الجناح عن التعريض ، أن المراد التنبيه على أن العزم أمر لا يمكن دفعه ولا النهي عنه ، فلما كان كذلك ، وكان تكلم العازم بما عزم عليه جبلة في البشر ، لضعف الصبر على الكتمان ، بين الله موضع الرخصة أنه الرحمة بالناس ، مع الإبقاء على احترام حالة العدة ، مع بيان علة هذا الترخيص ، وأنه يرجع إلى نفي الحرج ، ففيه حكمة هذا التشريع الذي لم يبين لهم من قبل ، وذكره أبو حيان أيضا (١٣) .

(١٢) الرازي ٤٦٩/٦ ؛ والبحر المحيط ٥٢١/٢ .
(١٣) ابن عاشور تفسير الآية .

******

صور وأوضاع :

أوربا عاشت في سبات عميق والعلماء المسلمون دونوا العلوم والمعارف

واضح رشيد الحسني الندوي

عاشت أوربا قروناً طويلة تتسكع في ظلمات الجهل والفقر والصراع الداخلي من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر للميلاد، كانت الكنيسة قد سيطرت على أوربا كلها، وألقت عليها أستاراً كثيفة سوداء، وكانت تحارب العلم والبحث الحر، واستولى الرهبان على جميع السلطات في هذا العهد، وقد أغلق هؤلاء القساوسة جميع منافذ العلم، واتخذوا إزاء العلم موقف الرفض الكامل، وأقفلت جميع كتب الفلسفة والطبيعة لكيلا يدرسها أحد، لأنها كانت تتعارض مع العقيدة المسيحية، وتسربت هذه الكتب في عهد الرشيد والمأمون إلى العاصمة الإسلامية، ودرسها العلماء المسلمون وأتقنوها وبرعوا فيها، ونالوا درجة الأستاذية في الفلسفة والطبيعة، والعلوم الرياضية، فنبغ في المسلمين علماء كابن سينا، والغزالي، وابن رشد، وأمثالهم الذين كانوا حجة في دراسة أفكار أرسطو، حتى سمي بعضهم بأرسطو الثاني ولم يقف العلماء المسلمون عند الفلسفة اليونانية المنقولة، بل أضافوا إلى الفكر ببحوثهم للقضايا وقدموا حلولها.

وقد اعترف بذلك الغربيون، وأبدوا شعورهم بخوائهم العلمي قبل عهد النهضة، فعدوا ذلك العهد، أي عهد ما ٥٠٠-١١٠٠ للميلاد عصر الظلام، وقد وصف هذا العهد أحد المؤرخين بالكلمات الآتية:

"حينما كان أصحاب المقامات الرفيعة من الغربيين في القرن

الحادي عشر ذوي الأخلاق العظيمة يفاخرون بأمتهم كان للأندلسيين مكتبة في قرطبة فيها ستون ألف كتاب خطي".

وفي أثناء ما كان العثور على كتاب في كل من "فرنسا" و "ألمانيا"، و "إيطاليا" في القرن الثاني عشر يعد من النوادر، كان الأندلسيون ينتقلون ما بين سبعين مكتبة فيها كتب قيمة.

ولما بحث أوربا عن العلم بادرت لاقتباس النور إلى أطراف الوادي الكبير "الأندلس" حيث كانت جامعات قرطبة، وطليطلة، وبلنسية.

كان القرن العاشر من أصعب فترات التاريخ في أوربا، فقد كان يجري فيها صراع شديد بين رجال العلم والكنيسة، فواجه كثير من العلماء محناً وشدائد لموقف الكنيسة المعادي للعلم وخضوع الحكومات المسيحية لأحكامها، فأعدم عدد منهم بتهمة الكفر.

ويذكر درابر قصة طريفة: أن سلفستر الثاني # Sylvestre الفرنسوي (٩٣٠-١٠٠٣م) الذي كان يدرس في دير بمدينة في أوربا ذهب إلى الأندلس، وأقام في أشبيلية وقرطبة، وتختص في الحساب، والطبيعيات على رياضيين عرب، فلما عاد إلى أوربا مضطلعاً بالعلوم والمعارف حسبه الناس ساحراً، واتخذوه بعض الملوك مؤدباً لأولادهم، وتنقل في مراتب عالية إلى أن وصل إلى رتبة البابوية سنة ٩٩٩م، ولما عرف الرجعيون قتلوا الملك وألحقوا به البابا أيضاً، كلفت محكمة التفتيش الأوربية بأيدي البابوات في القرون الوسطى، كلفت عشرات الضحايا من باحثي العلم، وقد كان الأساقفة يعتقدون أن القول بكون الأرض مدورة يتنافى مع الدين، وصنف كوبر نيكس كتاباً في حركة الأرض ومركزية الشمس، فصدر الحكم بتكفير من يقرأ الكتاب، ويؤيد ما اكتشفه كوبر نيكس، فسجن ومات في السجن، وأحرق بروتو حياً لأنه كان يعتقد بتعدد العوالم.

بدأت الحروب الصليبية في عام ١٠٥٥م ، ونفخ البابوات روح الكفاح في العالم الأوربي ، فأتاحت هذه الحروب فرص الاختلاط بالمسلمين والاختلاف إلى العواصم العربية ودراسة نظم التعليم والتربية لدى المسلمين والتعرف على مدى ما وصلت إليه الحضارة في العالم الإسلامي ، وما كانت عليه المدن الإسلامية من النظام والتأنق ، والرقي ، وما يتوفر في أسواقها من وسائل .

يقول مؤرخ غربي : كان للحروب الصليبية تأثير عظيم على مدنية الأجيال ، فإنها عجلت النهضة السياسية والاجتماعية التي كانت تنتظر للظهور ، ونشطت التجارة والصناعة ، فهيأت أسباب النهضة العلمية والصناعية .

ويقول :

"من ذلك الوقت بدا ارتقاء العلوم ، فأدخلت إلى الغرب الأرقام المسماة بالأرقام العربية ، وقامت مقام الرومانية ، وأن مصدر اسم الجبر الذي أتقنه العرب هو من لغتهم" .

وقال :

"إن العرب هم معلمونا الأولون لعلوم الفلك والطبيعيات والكيمياء والطب" .

وقال إي ايم برنس في كتبه :

إن التقدم الأوربي العقلي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مدين للتجارة المتبادلة مع الشرق والأدنى ، وأعمال العلماء والمترجمين في الأندلس وصقلية , أكثر من الحروب المقدسة ضد الأتراك" .

بدأ اقتباس الغرب للعلم من مراكز العلم في طليطلة وقرطبة وغرناطة في القرن العاشر ، وفتحت مدارس على غرار تلك المدارس ، ويقول برن في كتابه :

إن أقدم الجامعات في أوربا ترجع إلى القرن الحادي عشر ، وبين القرن الحادي عشر القرن الرابع عشر فتحت جامعات كثيرة في أوربا ، وفتحت الجامعة الأولى في ألمانيا في القرن الرابع عشر ، بينما فتحت أكسفورد ، وكمبردج في بريطانيا في القرن الثالث عشر للميلاد .

الحقد ضد المسلمين رغم اكتساب المعرفة من المسلمين :

كانت الفترة التي أقبلت فيها أوربا على العلم والمعرفة فترة الحروب الصليبية العنيفة التي كانت تبث الكراهية بين المعسكرين ، فقد استمرت هذه الحروب بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر (١٠٩٩-١٣٦٩م) وفشلت أوربا في معظم هذه الحروب ، وسقطت القسطنطينية في أيدي المسلمين في القرن الخامس عشر للميلاد ١٤٥٣م ، فأيقظت هذه الحروب والنكسات التي واجهتها أوربا ، أوربا كلها ، وأقبلت أوربا على العلم وتوسيع المعرفة باعتبارها الوسيلة الوحيدة للتغليب على المسلمين الذين كانوا في ذلك العصر في نشوة الانتصارات العسكرية ، وانصرفت عنايتهم عن التقدم في العلم ، واكتفوا بما حققه المتقدمون ، وداروا حول بحوثهم ، ووجد انفصال بين العلم والحياة ، وتركوا مسائل الحياة وحلها في ضوء العلم ، وقد كانت الحكومات الإسلامية تحت أعباء وضغوط مالية وتخلف ركب المسلمين العلمي واعتدوا على نظامهم القديم .

قال رينان : حدثت بعد الحملة الصليبية الثامنة التي قام بها بولس ملك فرنسا عام ١٢٧٠م ومات على أبواب تونس ، حركتان واضحتان من جهتين مختلفتين الأولى انحطاط العالم الإسلامي ، والأخرى نهوض العالم المسيحي ، لأن العلوم الإسلامية لما لقحت جراثيم الحياة في جسم البلاد الأوربية انطفأت جراثيم حياتها في العالم الإسلامي ، وأخذ العالمان يسيران في وجهتين معاكستين علواً وهبوطاً .

الاكتشافات العلمية في أوربا تمنح حركة العلم الغلبة على الكنيسة :

ويقول في موضع : منذ القرن الثالث عشر إلى السادس عشر حينما أخذت روح العلم تستيقظ في البلاد اللاتينية على إثر درس كتب أرسطو وابن سينا واصلت الكنيسة المجهزة بالقوة كسر عدوها غير أن الاكتشافات العلمية في القرن السابع عشر صارت وافرة الازدهار ، حتى لم يعد القضاء عليها ميسوراً .

إن أوربا التي ثارت على الكنيسة وطورت نظم حكمها تطويراً جديداً ، وادعت أنها تخلت عن الدين ، عند ما اقتحمت البلدان الإسلامية عن طريق علمائها ، وأطبائها ومدرسيها ، اقتحمت كقوة تبشيرية ، ووجد تحالف عظيم بين العلم والدين ، بل بين العلم والدعوة إلى المسيحية ، وصدرت أوربا مبشرين ، وقامت بتربية الأطباء والمدرسين للعلوم وللغات الأوربية ، والعاملين في المصانع والمختبرات ، والمدارس الابتدائية ليعلموا أثناء ممارسة مهنهم العقائد النصرانية ، وعند ما استولت أوربا على أجزاء العالم الإسلامي قامت بالتنصير الإجباري ، وعاملت معاملة التمييز بين المسيحيين وغير المسيحيين ، وانتشرت الجمعيات التبشيرية ، وأنشأت مطابع لطبع الكتب الدينية ، ولم تقم بعمل التبشير فحسب ، بل قامت بطمس معالم الحضارات الأخرى ، وإلغاء الشرائع الأخرى ، والقضاء على اللغات والثقافات للأمم التي استولت ، وأكرهتها على تغيير معتقداتها وثقافاتها ، وكان موقفها موقف الانتقام وأخذ الثأر من المسلمين بصفة خاصة .

****

مفاهيم تفسيرية للعلامة السيد سليمان الندوي (١٨٨٤-١٩٥٤م)
(٣)

بقلم : الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي

يمتاز أسلوب القرآن الكريم عن أساليب الكتب الأخرى بجزالة اللفظ وغزارة المعنى ، ويتصف بصوتية الألفاظ وحسن العبارة ، لكنه ليس شعراً ولا نثراً ، يتقيد به في بعض الأجزاء ويتحرر في بعضها ، بل الواقع أنه يفوق كليهما في المبنى والمعنى ، فيكون إيقاعه على النفوس أكثر ، فآيات القرآن ما بين قصيرة وطويلة ، يختلف نهجها مراعاةً للنفسية والبيئة ، فكل حرف أو مفرد يزخر بمفاهيم عالية ، ومعان سامية يتساوى فيه مبتداه ومنتهاه ، لكن مقاطعها تحمل دلالات عميقة بحيث إن الله ذكر موضوعاً برمته ثم ختمه بقول موجز يتلخص عن قاعدة مطردة وأصل ثابت ، وقد أطلق علماء التفسير على السجع اللفظي اسم "الفواصل" .

نظراً إلى أهمية هذه المقاطع تناولها العلامة السيد سليمان الندوي بالشرح والبيان ، وانفرد بهذه الخصيصة بين أقرانه وعلماء عصره ، سلك المفسرون مسلكين في تفسير الآيات ، أولهما : تفسير الآيات مع حل الكلمات العويصة ، واستنباط الفوائد والنكت منها ، وثانيهما : شرح الآيات والاكتفاء بفك التعقيد ، انتهج العلامة الندوي النهج الأول ، ذلك أنه أكثر إيضاحاً لدورس وعبر ذات أهمية ، فأخذ الآية ثم قام بشرحها شرحاً وافياً كافياً ، واستخرج من خلالها أصولاً تتفق والحياة الإنسانية ، وقد ثبت أن القرآن كتاب هداية ، فالهداية كما تعني : إراءة الإنسان الطريق كذلك تركز على إيصاله إلى المطلوب ، فالسيد الندوي لا يري الناس طريق الهداية والخير فقط ، بل يحاول أن يبلغهم إلى غايتهم المتوخاة .

وإلى القراء الكرام بعض التعليقات والإفادات التفسيرية على هذه المقاطع نذكرها في ضوء أقوال كبار المفسرين ، وهي كما يلي :

(١) قال الله عز وجل بعد ما تحدث عن الحقوق والواجبات التي تعود على الإنسان نحو ربه وخلائقه : ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوْراً﴾ (النساء/٣٦) يقول الإمام الرازي : إنما خص الله هذين الوصفين بالذم في هذا

الموضع لأن المختال هو المتكبر ، وكل من كان متكبراً فإنه قلما يقوم برعاية الحقوق ثم أضاف إليه ذم الفخور لئلا يقدم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة (١) وفسر الداعية الكبير سيد قطب هذه القطعة من الآية "في ظلال القرآن" إفراد الله بالعبادة والتلقي يتبعه الإحسان إلى البشر ابتغاء وجه الله ورضاه والتعلق في الآخرة ، والكفر بالله وباليوم الآخر يصاحبه الاختيال والفخر (٢) ، وأما المفسرون فقد اكتفوا بشرح الكلمات ولم يخوضوا في تعليل الأحكام وتفصيلها ، كتب العلامة الندوي تعليقاً على هذا : الفخر والاختيال هو الذي يمنع عن الإحسان (٣) .

(٢) وفي سورة البقرة : ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيْمٍ﴾ (رقم الآية/٢٧٦) جاء هذا البيان عقب تحريم الربا وإرباء الصدقات ، أي قوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ * وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيْمٍ﴾ ، يقول العلامة ابن كثير : أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل ، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة ، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح ، فهو يسعى في أموال الناس بالباطل ،

(٤) وقال أبو حيان الأندلسي : فيه تغليظ أمر الربا وإيذان أنه من فعل الكفار ، وأتى بصيغة المبالغة في الكافر والآثم تنبيهاً على عظم أمر الرباء ومخالفة الله ، فحينما فسر هذه القطعة العلامة الندوي فتناول الكفر بمعنى كفران النعمة فقل : أخذ الربا كفر النعمة أي كفر نعمة ربهم .

(٣) سورة آل عمران من السور المدنية ، تشتمل على مائتي آية ما بين طويلة وجيزة ، فبعد ما ذكر الله صفات عباده المؤمنين قال في مقطع هذه السلسلة : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾ (رقم الآية/١٣٨) ، قال القرطبي نقلاً عن الحسن البصري : المراد بـ "هذا" القرآن ، وقيل : هذا إشارة إلى قوله:

---

(١) التفسير الكبير للإمام الرازي ، ج/٥ ص/٧٩ .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ج/٥ ص/٦٦١ .

(٣) وقد أطال العلامة هذا الموضوع بنصه وفصه في كتابه "سيرة النبي" ج/٦ ص/٣٣٢ فمن أراد التفصيل فليراجعه .

(٤) تفسير القرآن الكيم لابن كثير ج/١ في تفسير الآية المذكورة .

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ (٥) وأجمع المفسرون أمثال الطبري والآلوسي والأصفهاني على أن معنى البيان : الكشف عن شيء ، وهو أعم من النطق ، وأضاف الأصفهاني قائلاً : البيان يكون على ضربين : أحدهما بالتسخير ، وهو الأشياء التي تدل على حال من الأحوال من آثار الصنعة ، والثاني : بالاختيار ، وذلك إما يكون نطقاً أو كتابه أو إشارة (٦) ، أما العلامة الندوي فلم يكتف بالتحقيق اللغوي فحسب بل أشار إلى فقه اللغة بين البيان والهدى والموعظة ، أتى فيه بشيء هام يدل على قوة ملكته وسعه اطلاعه ، فقال : البيان ما كان بيناً ، البيان هو الإعلان ، والهدى خفي ، والموعظة أخفى منه ، فقد استفاد العلامة من كتاب التفسير الكبير للإمام الرازي بحيث إنه قال : البيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة ، فالفرق عام في أي معنى كان ، وأما الهدى فهو بيان لطريق الرشد يسلك دون طريق الغي ، وأما الموعظة فهي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين ، فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان : أحدهما : الكلام الهادي إلى ما ينبغي في الدين ، وهو الهدى ، والثاني : الكلام عما لا ينبغي في الدين ، وهو الموعظة (٧) .

(٤) وفي الذاريات قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُوْلٍ إِلاَّ قَالُوْا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ﴾ (رقم الآية/٥٢) يقول الله مسلياً لنبيه ﷺ : إن معاداة الكفار ليست بدعاً من الأمر ، وقد سبق عداء الكفار مع الأنبياء السابقين يقول الرازي : وقد ذكرنا أنه يدل على أن ذكر الحكايات للتسلية ، غير أن فيه لطيفة واحدة لا نتركها ، وهي أن كل رسول كذب (٨) وقال الآلوسي : فيه الإشارة إلى تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام وتسميتهم إياه ، وحاشاه ساحراً أو مجنوناً (٩) ، وفسر الأصفهاني كلمة السحر قائلاً : السحر يأتي على

---

(٥) تفسير القرطبي ج/٤ ص/٢١٦ .

(٦) مفردات القرآن ص/١٥٧-١٥٨ ، تحقيق صفوان عدنان داؤدي ، دار القلم ، دمشق .

(٧) التفسير الكبير للإمام الرازي ج/٥ ص/١١-١٢ .

(٨) التفسير الكبير ج/١٤ ص/١٩٤ .

(٩) روح المعاني ج/١٤ ص/١٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

معان : الأول : الخداع ، والثاني : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقريب إليه ، الثالث : ما يذهب إليه الأغنام ، وهو اسم فعل يزعمون أنه من قوته يَغير الصور والطبائع ، فيجعل الإنسان حماراً ، وكذلك كلمة مجنون : فأصل الجنون : ستر الشيء عن الحاسة ، الجنون : حائل بين النفس والعقل ، (١٠) وفسر العلامة الندوي هاتين الكلمتين قائلاً : الساحر يدعي بالقصد ، والمجنون يدعي بلا قصد .

تحدث الله في فاتحة سورة الرعد عن مظاهر الكون ونبات الأرض ودوران الشمس والقمر وما أسبغ على الإنسان من نعمه ظاهرةً وباطنةً وكفرانهم إياها ، ثم خاطب محمداً ﷺ فقال : ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءإِذَا كُنَّا تُرَاباً ءإِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ * أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ * وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ * وَأُوْلَئِكَ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ﴾ (رقم الآية/٥) قال السيد صديق حسن خان القنوجي صاحب فتح البيان : في هذه الآية دليل على كفر منكري البعث (١١) ، وقال الرازي : هذا يدل على أن كل من أنكر البعث والقيامة فهو كافر ، وإنما لزم من إنكار البعث الكفر بربهم من حيث إن إنكار البعث لا يتم إلا بإنكار القدرة والعلم والصدق (١٢) قام العلامة السيد سليمان الندوي بتلخيص كل ما قال الرازي في عبارة وجيزة بحيث لا ينتقص المراد ولا يختل المدلول : فقال : إنكار البعث كفر بالله لأنه يستلزم القول بأن الله ليس بقادر عليه .

هذا قليل من كثير ما احتفظ به نجل العلامة الشيخ السيد سلمان بن سليمان الندوي حفظه الله ، وقد أتحفنا بهذه الهدية الطريفة إبان زيارته لجامعة ندوة العلماء عام ٢٠٠٦ ، فنشكره على هذه المنة ، ومما يبعثنا على البهجة والسرور أنه يقوم بتدوين أمثال هذه الإفادات العلمية التفسيرية من نسخة القرآن الكريم لوالده التي كان يكتبها في حاشيتها ، ندعو الله أن يكلل هذا السعي بالنجاح ويرزقنا وإياه سعادتي الدنيا والآخرة ، وإنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

---

(١٠) مفردات القرآن مادة س ، ر .

(١١) فتح البيان في مقاصد القرآن ج/٧ ص/٢٠ .

(١٢) التفسير الكبير للإمام الرازي ج/١٠ ص/٨ .

قرأت لك :

بيت المقدس

بقلم : د/أحمد صدقي الدجاني

بيت المقدس :هو أحد الأسماء التي اشتهرت بها مدينة القدس بفلسطين من بلاد الشام ، بعد الفتح الإسلامي لها سنة ١٥هـ/٦٣٦م ، ووردت لهذا الاسم – كما يقول إسحق موسى الحسيني في كتابه "عروبة بيت المقدس" صور مختلفة منها البيت المقدس ، وبيت القدس ، والقدس الشريف ، والمدينة المقدسة ، ولقبت المدينة بألقاب منها : دار السلام ، ومدينة السلام ، وقرية السلام .

بيت المقدس مدينة عربية قديمة أسسها الكنعانيون العموريون القادمون من جزيرة العرب قبل حوالي خمسة آلاف سنة ، في بداية العصر البرونزي ، مع مجموعة مدن أقاموها على طريق المياه ، واختاروا لها موقعاً متميزاً ، على مرتفع توجد على مقربة منه عين ماء ، يعتبر مركزياً بالنسبة إلى فلسطين وما حولها ، ولا يقل موضع المدينة أهمية عن موقعها ، فهو موضع ديني دفاعي .

أول اسم ثابت لمدينة القدس ، هو أور سالم ، وقد ورد في نصوص مصرية تعود إلى عهد سنوسرت الثالث (١٨٧٩ – ١٨٤٢ ق .م) ويعني هذا الاسم "العموري" "أسسها سالم" ، وجاء ذكر "أور سالم" في ألواح تل العمارنة التي تضمنت ست رسائل بعث بها ملكها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى أخناتون فرعون مصر ، ولم تلبث أن أخذت اسم "يبوس" نسبة لليبوسيين من بطون العرب الكنعانيين ،

وقد ورد في التوراة مرات، واليبوسيون هم الذين بنوا قلعتها "صهيون" وتعني بالكنعانية "مرتفع"، كما بنوا هيكلاً لإلههم "سالم"، بيتاً للعبادة يذكر فيه اسم الله، فأصبحت قبلة ومحجاً، واعتقدوا "أنها سرة الأرض، وأنها تشكل نهاية لحبل الخلاص الذي يصل الأرض والسماء، وأنها مرتبطة بشجرة العالم وبجنة عدن"، كما أورد كامل العسلي في بحثه "مكانة القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ" عن فرانكين وتيرين.

ظلت القدس منذ تأسيسها حوالي ألفين من السنين كنعانية عمورية عربية، قبل أن يغزو العبرانيون بقيادة يشوع أرض كنعان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهكذا تحددت هويتها مدينة عربية، كنعانية عمورية يبوسية، وبقيت هذه الهوية ملازمة لها مع تتالي الغزاة على احتلالها؛ لأن أهلها العرب الكنعانيين استمروا فيها وفي كنعان في بوتقته، وكذلك قدرته على طرد الغزاة الطامعين بفضل مقاومة أهله طويلة النفس.

وقد منَّ الله على القدس بأن جعلها مقر المسجد الأقصى، وأوحى إلى عدد من النبيين فيها، وبعث رسلاً، ومن هؤلاء داود (عليه السلام) الذي فتحها وحكمها حوالي عام ١٠٠٠ق.م، ومن بعده ابنه سليمان (عليه السلام)، ومن الغزاة الذين تتابعوا عليها نبوخذنصر البابلي عام ٥٨٦ ق.م، وقورش عام ٥٣٨ ق.م، والإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م، وبومبي الروماني عام ٦٣ ق.م، واستمر حكم الروم فيها غربيين وشرقيين إلى الفتح الإسلامي، الذي دخلت به القدس مرحلة جديدة من تاريخها تعززت فيها عروبتها ومكانتها الروحية.

وقد دخلها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عام ٦٣٦م، ١٥هـ، واستلم مفاتيحها من البطريرك صفرونيوس، وأعلن عهده المشهور لأهلها، وتألقت القدس واحدة من منارات العلم في ديار الإسلام إبان عهود الأمويين والعباسيين - طولونيين وإخشيديين - والفاطميين، وتعرضت لغزو الفرنجة واحتلالهم لها عام ١٠٩٩م، ٤٩٢هـ، ثم حررها صلاح الدين عام ١١٨٧م، ٥٨٣هـ.

وعادت إلى الحكم الإسلامي حتى كانت الغزوة الاستعمارية الأوروبية الصهيونية واحتلتها بريطانيا آخر عام ١٩١٧م، ثم مكنت الصهاينة العنصريين منها عام ١٩٤٨م (الموسوعة الفلسطينية بقسميها).

لبيت المقدس مكانة في العقيدة الإسلامية هي التي أعطتها هذا الاسم المبارك، وترتكز هذه المكانة إلى ثلاثة أصول مترابطة: الأول أن القدس مدينة عدد من الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، والثاني أنها المكان الذي أسرى الله سبحانه برسوله محمد (عليه الصلاة والسلام) إليه، وعرج به منه إلى السماء، والثالث أنها القبلة الأولى للمسلمين، وتتفرع عن هذه الأصول الثلاثة - كما يقول الحسيني والعسلي - فضائل بيت المقدس الكثيرة التي حفلت بها كتب التراث، خاصة كتب "فضائل بيت المقدس".

إن الإيمان بالرسل والأنبياء، وما أنزله سبحانه عليهم أصل من أصول عقيدة الإسلام، وقد كان أولئك جميعاً مسلمين لله، وتربط الروايات القديمة المتوارثة بين القدس وآدم (عليه السلام) الذي بني مسجد بيت المقدس _ على حد ما ذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه "الأنس الجليل بتاريخ مصر والخليل".

كما قيل: إن سام بن نوح هو الذي اختط القدس وحمل لقب

ملكي صادق ، وقيل : إن سفينة نوح (عليه السلام) وقفت أمام بيت المقدس ، ومعلوم صلة أنبياء الله إبراهيم وإسحق ويعقوب و زكريا ويحيى وعيسى (عليه السلام) وغيرهم بيت المقدس .

وفي الأثر عن عبد الله بن عمر)رضي الله عنهما) قال : "بيت القدس" بنته الأنبياء وعمرته" .

ولقد اختار الله تعالى بيت المقدس ليسرى بعبده محمد (عليه الصلاة والسلام) ليلاً من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى فيها ، وليعرج به من هذا المسجد الذي بارك الله حوله إلى السماء في العهد المكي .

كما شاء الله سبحانه أن يكون بيت المقدس هو القبلة الأولى التي توجه إليها رسوله والمسلمون الأوائل ، قبل أن يصرف القبلة إلى الكعبة في السنة الثانية من الهجرة سنة ٦٢٣م ، وفضائل بيت المقدس المنبثقة من هذه الأصول الثلاثة تشمل فضل علاقتها بمكة والمدينة ، وفضل الإقامة فيها وزيارتها ، وفضل الإهلال بالحج والعمرة منها ، وفضل الصلاة فيها .

ولقد كانت القدس عبر العصور مركز فلسطين التي استمرت وطناً للشعب العربي الفلسطيني ، وقبلةً ومحجاً للمؤمنين ، ومطمعاً للغزاة ، وتألقت في ظل الحضارة العربية الإسلامية مكاناً مباركاً فيه المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ، ومنارة ثقافة ، ومعماراً جميلاً وهي في هذا العصر تعاني من الاحتلال الصهيوني الاستعماري الاستيطاني العنصري لها الذي يسعى جاهداً لتغيير هويتها العربية ، وتستبشر باستمرار مقاومة أبنائها له ونصب أعينهم تحريرها منه .

من كتاب "الخطر يتهدد بيت المقدس"

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
مؤسسة الصحافة والنشر ، ص.ب ٩٣
ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) ٢٢٦٠٠٧
ALBAAS-EL-ISLAMI
Majlis Sahafat-wa-Nashriyat
P.o.Box:93, Nadwatul Ulama
LUCKNOW-UP, 226 007 (India)

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، تشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٢/عاما بالاستمرار ، وهي تجتاز الآن عامها الثالث والخمسين – والحمد لله – ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

نرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :
مكتب : "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص.ب ٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)